أبو بكر الصديق

أول الخلفاء الراشدين

ترجمة حياته . خلافته . محاربته
أهل الردة . قواده . فتوح المسلمين
فى العراق والشام . وفاته . وبه
خاتمة فى حياة خالد بن الوليد

تأليف

محمد رضا

أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول

﴿ يليه فهارس بأسماء الرجال والقبائل والنساء والأماكن ﴾

الطبعة الثانية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على نعمائه الجمة وآلائه التي لا تعد ولا تحصى ، وأستغفره من كبائر الذنوب وصغائرها ، وأسأله الهداية والتوفيق . وأصلي وأسلم على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما بعد فقد كنت شديد الرغبة في تأليف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنشرها على العالم الاسلامي فقضيت الأيام والليالي الطوال في الاطلاع والبحث في كتب السير فجمعت شتاتها وشرحت الغامض منها وحققت الروايات وأثبت تواريخ الوقائع ورددت على الاعتراضات والترهات ردوداً مدعمة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة ، فجاء الكتاب وافياً بغرضي من حيث ايصال المعلومات الصحيحة الى العالم الاسلامي . ولما فرغ طبعه ، تلقاه الناس بالقبول والاستحسان وأقبلوا على مطالعته بشوق وشغف ، ونال بحمد الله وفضله رضا العامة والخاصة وتواردت عليّ رسائل التقريظ والتشجيع من الكبراء والعلماء والأدباء حتى عجزت عن شكرهم على ثقتهم بشخصي العاجز الضعيف ، وشعرت

بقوة تدفعنى الى مواصلة البحث والتأليف بالرغم من كثرة المشاغل الدنيوية . وقد سألنى كثير من الأصدقاء الأعزاء أن أتبع سيرة رسول الله بسير الخلفاء بنفس الطريقة التى انتهجتها فسرتنى فكرتهم ولم يسعنى الا إجابة طلبهم ،واستخرت الله تعالى أن أكتب سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فإنه أول الخلفاء الذين أمرنا رسول الله بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم

لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتجت العرب واختلف المسلمون ولا سيما الأنصار فى الخلافة فتدارك الأمر أبو بكر بحكمته وسرعة بديهته وتمت البيعة له بالاجماع . وقد برهن رضى الله عنه أنه أكفأ رجل وأنه رجل الساعة وقتئذ لأن العرب عند ما سمعوا بوفاة رسول الله ارتد كثير منهم واستفحل أمر المرتدين فى جزيرة العرب ، وظهر المتنبئون وجمعوا جيوشهم وثاروا على المسلمين . فمنهم من خرج عن الاسلام ، ومنهم من منع الزكاة ووضع الصلاة وأباح المحرمات وطرد كثيراً من الولاة ، ولولا شدة تمسك أبى بكر بسنة رسول الله وقوة عزيمته وشجاعته لتغلب المرتدون وقضوا على الاسلام قضاء مبرماً . ولقد هال أمر المرتدين فى بادىء الأمر كبراء الصحابة ، ولكن أبا بكر ثبت ولم يتزعزع وظهرت كفاءته فى ارسال الجيوش واختيار القواد والولاة الى جميع أنحاء جزيرة العرب فكبح جماح المرتدين

وهزمهم شر هزيمة واستتب الأمن فى البلاد فى أقل من سنة . ولم يقتصر على ذلك بل بعث الجيوش الى العراق والشام فانهزمت الفرس والروم ومن والاهما من العرب وتعدى المسلمون فى فتوحهم شبه جزيرة العرب . وقد تم ذلك كله فى مدة خلافته وهى سنتان وأشهر ولا شك أن هذه مدة قصيرة بالنسبة الى ما تم فى خلالها من جلائل الأعمال ، وقد مهد بذلك طريق الفتوحات الاسلامية لمن جاء بعده من الخلفاء واتضحت بذلك حكمة رسول الله فى اختيار أبى بكر بعده

وقد كان رضى الله عنه مع ذلك لطيفاً وديعاً متواضعاً زاهداً فى الدنيا متقشفاً عادلاً غير طامع فى ملك أوغنى ، بل كان كل همه نشر الاسلام وتوطيد أركانه واتباع سنة رسول الله ، وقد كان مؤلفاً لقلوب المسلمين . وعلى العموم كان خير قدوة لهم فى دينهم ودنياهم . وقد اختار لهم خير من يصلح للخلافة بعده وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كان وزيره وقاضيه وملازماً له طول مدة خلافته وذلك حفظاً لكيان الاسلام

هذا هو أبو بكر الصديق خليفة رسول الله الذى عنيت بترجمة حياته وشرح خلافته ومآثره فى كتابى هذا . وانى لارجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى عملى كما أرجو أن ينتفع به المسلمون

ويتدبروا فى سير سلفهم الصالح بعد أن سهلت لهم مايتعسر فهمه من حيث شرح المواقع وسير الرجال وضبط التواريخ وتفسير الألفاظ الغامضة وعمل الفهارس المختلفة تسهيلاً للبحث والمراجعة وتوفيراً للوقت . وانى فى الختام أقدم مزيد شكرى لجميع الذين أبدوا اهتمامهم واعجابهم بمؤلفى « محمد رسول الله » ولا شك أنى مدين لهم بهذا العطف والتشجيع

محمد رضا

ترجمة حياة أبي بكر الصديق

رضى الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى القرشىّ التيمىّ . يلتقى مع رسول الله فى مرة ابن كعب . أبو بكر الصديق بن أبى قحافة . واسم أبى قحافة عثمان . وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وهى ابنة عم أبى قحافة

أسلم أبو بكر ثم أسلمت أمه بعده ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال العلماء : لا يعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله ، إلا آل أبى بكر الصديق وهم : عبد الله بن أسماء بنت أبى بكر بن أبى قحافة . فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون . وأيضاً أبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنهم

ولقب عتيقاً لعتقه من النار وقيل لحسن وجهه . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أبو بكر عتيق الله من النار » فمن يومئذ سمى « عتيقاً » . وقيل سمى عتيقاً لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به . وأجمعت الأئمة على تسميته صديقاً . قال علىّ

ابن أبى طالب رضى الله عنه « ان الله تعالى هو الذى سمى أبا بكر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقاً » وسبب تسميته أنه بادر الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هناة ولا وقفة فى حال من الاحوال . وعن عائشة انها قالت :

« لما أسرى بالنبى صلى الله علية وسلم الى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمن وصدق به وفتنوا به . فقال أبو بكر : إنى لأصدقه فى ماهو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، فلذلك سمى أبا بكر الصديق »

وقال أبو محجن الثقفى :

وسميت صديقاً وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت جليساً فى العريش المشهر

ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م بعد الفيل بثلاث سنين تقريباً ، وكان رضى الله عنه صديقاً لرسول الله قبل البعث وهو أصغر منه سناً بثلاث سنوات . وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته . وقيل : كنى بأبى بكر لابتكاره الخصال الحميدة . فلما أسلم آزر النبى صلى الله عليه وسلم فى نصر دين الله تعالى بنفسه وماله . وكان له لما أسلم ٤٠٠٠٠ درهم أنفقها فى سبيل الله مع ما كسب من التجارة

قال تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا

لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾

وقد أجمع المفسرون على أن المراد منه أبو بكر . وقد رد الفخر الرازى على من قال انها نزلت فى حق علىّ رضى الله عنه

كان أبو بكر رضى الله عنه من رؤساء قريش فى الجاهلية محبباً فيهم مؤلفاً لهم ، وكان اليه الاشناق [1] فى الجاهلية . كان إذا عمل شيئا صدقته قريش ، وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه وان احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه . فلما جاء الإسلام سبق اليه ، وأسلم من الصحابة بدعائه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيدالله وأسلم أبواه وولداه وولد ولده من الصحابة فجاء بالخمسة الذين أسلموا بدعائه الى رسول الله فأسلموا وصلوا

وقد ذهب جماعة الى أنه أول من أسلم قال الشعبى : سألت ابن عباس من أول من أسلم ؟ قال أبو بكر . أما سمعت قول حسان :

اذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس قدماً صدق الرسلا

وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها من خير وشر . وكان تاجراً ذا ثروة طائلة ، حسن المجالسة ، عالماً بتعبير الرؤيا ، وقد

(١) الاشناق : الديات

حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية هو وعثمان بن عفان. ولما أسلم جعل يدعو الناس الى الاسلام . قال رسول الله ﷺ « مادعوت أحداً الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبى بكر رضى الله عنه ما علم عنه حين ذكرته له » أى انه بادر به . ونزل فيه وفى عمر « وشاورهم فى الأمر » فكان أبو بكر بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها

وقد أصاب أبا بكر من ايذاء قريش شيء كثير . فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الأرقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سراً ألح أبو بكر رضى الله عنه فى الظهور ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبابكر انا قليل . فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى رسول الله ، فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى . فثار المشركون على أبى بكر رضى الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً . ووطئ أبو بكر بالأرجل وضرب ضرباً شديداً . وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لايعرف أنفه من وجهه ، فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ، ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده

أبو قحافة و بنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار ، ثم تكلم وقال : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فعدلوه فصار يكرر ذلك . فقالت أمه ، والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبي الى أم جميل فاسأليها عنه وخرجت اليها وقالت لها أن تسأل عن محمد بن عبد الله ، فقالت لاأعرف محمدا ولا أبا بكر . ثم قالت تريدين أن أخرج معك ؟ قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعاً فصاحت وقالت : ان قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وانى لأرجو أن ينتقم الله منهم ، فقال لها أبو بكر رضى الله عنه : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت هذه أمك ، قال فلاعين عليك منها أى انها لاتفشى سرك . قالت سالم هو فى دار الأرقم . فقال والله لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكىء علىّ حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك . فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله مابى من بأس الا مانال الناس من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت[1]

ولما اشتد أذى كفار قريش لم يهاجر أبو بكر الى الحبشة مع

(١) راجع السيرة الحلبية

المهاجرين بل بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركاً عياله وأولاده وأقام معه فى الغار ثلاثة أيام قال الله تعالى ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

ولما كانت الهجرة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وهو نائم فأيقظه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذن لى فى الخروج . قالت عائشة : فلقد رأيت أبا بكر يبكى من الفرح ، ثم خرجا حتى دخلا الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام [1] . وأن رسول الله لولا ثقته التامة بأبى بكر لما صاحبه فى هجرته فاستخلصه لنفسه . وكل من سوى أبى بكر فارق رسول الله ، وأنه تعالى سماه « ثانى اثنين »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت فى أبى بكر شيئاً فقال نعم . فقال قل وأنا أسمع . فقال :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صعّد الجبلا
وكان حِبّ رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرمه و يجله و يثنى عليه فى وجهه واستخلفه فى الصلاة ، وشهد مع رسول الله بدراً وأحداً والخندق و بيعة الرضوان بالحديبية وخيبر وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك

(١) راجع « الهجرة إلى المدينة » فى كتاب محمد رسول الله للمؤلف صفحة ١٥٤

وحجة الوداع . ودفع رسول الله رايته العظمى يوم تبوك الى أبى بكر وكانت سوداء وكان فيمن ثبت معه يوم أحد وحين ولى الناس يوم حنين . وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا القرآن كله ، ودفع أبو بكر عقبة بن أبى معيط عن رسول الله لما خنق رسول الله وهو يصلى عند الكعبة خنقا شديداً . وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا »

وأعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يعذبون فى الله تعالى وهم : بلال وعامر بن فهيرة ، وزنّيرة ، والنهدية ، وابنها ، وجارية بنى مؤمل ، وأم عُبيس . وكان أبو بكر اذا مدح قال : « اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم . اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون »

قال عمر رضى الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندى . فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته فجئت بنصف مالى . فقال ما أبقيت لأهلك ؟ قلت مثله . وجاء أبو بكر بكل ما عنده . فقال يا أبا بكر . ما أبقيت لأهلك ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله . قلت . لاأسبقه الى شىء أبداً

روى لأبى بكر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٢ حديثاً اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بأحد عشر ، ومسلم بحديث واحد ، وسبب قلة رواياته مع تقدم صحبته وملازمته النبى صلى الله عليه وسلم أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الاحاديث واعتناء التابعين بسماعها ، وتحصيلها ، وحفظها

بعض الاحاديث المصرحة بفضل أبى بكر :

عن عمرو بن العاص : أن النبى عليه السلام بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أى الناس أحب اليك ؟ فقال عائشة . فقلت من الرجال . فقال : أبوها . فقلت ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً . رواه البخارى ومسلم

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر : إن أحد شقى ثوبى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك لست تصنع ذلك خيلاء » رواه البخارى

وعن أبى هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر . أنا . قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن فى امرئ الادخل الجنة » رواه مسلم

وعن أبى هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير . فتحركت الصخرة . فقال النبى عليه السلام : « اهدأ فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد » رواه مسلم

وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » رواه الترمذى

وعن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر « أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار » رواه الترمذى

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر » فبكى أبو بكر وقال . وهل أنا ومالى إلا لك يارسول الله

ومن فضائله رضى الله عنه :

أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل فيستقى لها ويقوم بأمرها . فكان اذا جاء وجد غيره قد سبقه اليها . فأصلح ما أرادت . فجاءها غير مرة كيلا يسبق اليها فرصده عمر فاذا الذى يأتيها هو أبو بكر الصديق ، وهو يومئذ خليفة . فقال عمر : أنت هو لعمرى

وهو أول خليفة فى الاسلام ، وأول أمير أرسل على الحج ، حج بالناس سنة تسع هجرية ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سمى

مصحف القرآن مصحفاً ، وكان يفتى الناس فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر

توفى أبو بكر يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ — ٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤ م وتوفى أبوه بعده بنحو ستة أشهر وله ٦٣ سنة كرسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب

صفته رضى الله عنه

كان أبو بكر رجلا أبيض خفيف العارضين لايتمسك إزاره ، معروق الوجه ، ناتئ الجبهة ، عارى الاشاجع [١] أقنى [٢] غائر العينين حَمْش الساقين [٣] ممحوص الفخذين [٤] يخضب بالحناء والـكَتَم [٥]

زوجاته وأولاده

تزوج أبو بكر فى الجاهلية (قتيلة بنت سعد) فولدت له عبد الله وأسماء . أما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبى صلى الله عليهوسلم

---

(١) الاشاجع هى أصول الاصابع التى تتصل بعصب ظاهر الـكف وقيل هى عروق ظاهر الـكف (٢) قنى الانف ارتفع أعلاه واحدودب وسطه وسبغ طرفه وقيل نتأ وسط قصبته وضاق منخراه فهو أقنى (٣) دقيقهما (٤) أى خلص من الاسترخاء (٥) الـكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقاً وله ثمر كقدر الفلفل ويسود اذا نضج

و بقى الى خلافة أبيه ، ومات فى خلافته وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . وولد لعبد الله إسماعيل فمات ولا عقب له . وأما أسماء فهى ذات النطاقين ، وهى التى قطعت قطعة من نطاقها فربطت به على فم السفرة فى جراب التى صنعت لرسول الله ، وأبى بكر عند قيامهما بالهجرة و بذلك سميت « ذات النطاقين » وهى أسن من عائشة . وكانت أسماء أشجع نساء الاسلام ، وأثبتهن جأشاً ، وأعظمهن تربية للولد على الشهامة ، وعزة النفس ، تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد ، ثم طلقها فكانت مع ابنها عبد الله بن الزبير حتى قتل بمكة ، وعاشت مائة سنة حتى عميت ، وماتت

وتزوج أبو بكر أيضاً فى الجاهلية (أم رومان) فولدت له عبد الرحمن ، وعائشة زوجة رسول . توفيت فى حياة رسول الله فى سنة ست من الهجرة فنزل رسول الله قبرها واستغفر لها ، وكانت حية وقت حديث الإفك ، وحديث الافك فى سنة ست فى شعبان فعبد الرحمن شقيق عائشة ، شهد بدراً وأحداً مع الكفار ، ودعا إلى البراز فقام اليه أبو بكر ليبارزه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « متعنا بنفسك » وكان شجاعاً رامياً ، أسلم فى هدنة الحديبية وحسن اسلامه ، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل وهو من أكابرهم ، وهوالذى

قتل محكم اليمامة ابن الطفيل الذى كان من قواد بنى حنيفة المشهورين رماه بسهم فى نحره فقتله كما سيأتى ذكر ذلك فى موقعة اليمامة . وكان عبد الرحمن أسن ولد أبى بكر وكان فيه دعابة . توفى فجأة بمكان اسمه حبشى على نحو عشرة أميال من مكة ، وحمل إلى مكة ودفن فيها ، وكان موته سنة ٥٣ هـ

وتزوج أبو بكر فى الاسلام (أسماء بنت عميس) وكانت قبله عند جعفر بن أبى طالب . فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبى بكر ثم مات عنها فتزوجها على بن أبى طالب فولدت له يحيى . وأما محمد بن أبى بكر فكان يكنى أبا القاسم ، وكان من نساء قريش ، ولاه على بن أبى طالب رضى الله عنه مصر فقاتله صاحب معاوية ، وظفر به فقتله ، وولد له القاسم

وتزوج أيضاً فى الاسلام (حبيبة بنت زيد بن خارجة بنت أبى زهير الخزرجى) فولدت له جارية سمتها عائشة أم كلثوم . تزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له زكريا ، وعائشة، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبى ربيعة المخزومى

* * *

قال الأستاذ واشنجتون ايرفنج فى كتابه (محمد وخلفاؤه) :

كان أبو بكر رجلا عاقلا سديد الرأى وقد كان فى بعض الأحيان شديد الحذر والحيطة فى إدارته ، لكنه كان شريف الأغراض غير محب

للذات ، ساعياً للخير لا لمصلحته الذاتية فلم يبتغ من وراء حكمه مطامح دنيوية ، بل كان لا يهمه الغنى ، زاهداً فى الفخر ، راغباً عن اللذات ولم يقبل أجراً على خدماته غير مبلغ زهيد يكفى لمعاش رجل عربى عادى ولم يكن له سوى جمل وعبد . وكان يوزع ما كان يرد اليـه فى كل يوم جمعة إلى المحتاجين ، والفقراء ، ويساعد المعوزين بماله الخاص

حديث السقيفة

و بيعة أبى بكر الصديق

توفى رسول الله صلى الله عليـه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة (٩ يونيه سـنة ٦٣٢ م) فهب الأنصار يطالبون بالخلافة قبل أن يدفن رسول الله مع أن المهاجرين لم يكونوا قد فـكروا فى الخلافة ، بل كان كبار الصحابة مشغولين بتجهيز رسول الله ودفنه ، وطمع سعد بن أبى عبادة فى أن يكون خليفة ويكنى أبا ثابت ، وكان نقيب بنى ساعدة والسيد المطاع فى الخزرج

اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة [1] وجاءوا بسعد بن عبادة وهو مريض بالحمى ليبايعوه ، وطلبوا اليه أن يخطب . فقال : لابنه أو بعض بنى عمه انى لا أقدر لشكواى أن أسمع القوم كلهم كلامى ، ولـكن تلق منى قولى فأسمعهم ، فكان يتـكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه

---

(١) سقيفة بنى ساعدة بالمدينة وهى ظلة كانوا يجلسون تحتها . أما بنو ساعدة الذين أضيفت اليهم السقيفة فهم حى من الانصـار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج ومنهم سعد بن عبادة وكان السيد المطاع فى الخزرج وكانت دار سـعد مما يلى سوق المدينة وعندها السقيفة

خطبة سعد بن عبادة

قال سعد بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يامعشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب . ان محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن ، وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عُمُّوا به حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الايمان به و برسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتى أثخن لله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض و بكم قرير عين . استبدوا بالأمر دون الناس ، فانه لكم دون الناس [1] »

هذه خطبة سعد بن عبادة . فقد كان يرى أن المهاجرين استبدوا بالأمر ، وأن الأنصار أحق بالولاية للأسباب التى ذكرها ، مع أن المهاجرين لم يكونوا قد اجتمعوا ، ولم يتشاوروا فى أمر الخلافة ، ولم

---

(١) تاريخ الطبرى الجزء الثالث

يقرروا شيئاً . ولا شك أن هذه الخطبة حازت استحسان الأنصار ، ولا سيما الخزرج ، فأجابوا بأجمعهم أن قد وفقت فى الرأى ، وأصبت فى القول ، ولن نعدو ما رأيت ، نوليك هذا الأمر فانك فينا مقنع ، ولصالح المؤمنين رضى

وطبيعى أن يحتج المهاجرون على هذا الكلام . فقالوا : نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله الأولون ، وعشيرته وأولياؤه . فقال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » ولن نرضى بدون هذا أبداً . فقال سعد . (هذا أول الوَهْن)

بلغ عمر بن الخطاب ما كان من خطبة سعد وما وقع من خلاف بين الأنصار الذين أثاروا هذا الموضوع و بين المهاجرين ، فجاء إلى منزل رسول الله ؛ وأرسل إلى أبى بكر أن اخرج إلىّ فأرسل إليه إنى مشتغل فأرسل اليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره . فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح ، وأراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالكلام ، فأسكته أبو بكر قائلا : « رويداً حتى أتكلم » ثم تكلم بكل ما أراد أن يقول عمر

خطبة أبى بكر الصديق

بدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«إن الله بعث محمداً رسولا إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ليعبدوا

الله ويوحدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هى من حجر منحوت ، وخشب منجور . ثم قرأ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ مَالا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ ﴿ وَقَالُوا مَانَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهجرين الأولين من قومه بتصديقه ، والايمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس لهم مخالف . زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف الناس لهم [1] واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وآمن بالله و بالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام . رضيكم الله أنصاراً لدينه ولرسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ، ولا نقضى دونكم الأمور »

---

(١) بغض الناس لهم

خطبة الُحباب بن المُنذر

فقام الُحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى الخزرجى السلمى ، ويكنى أبا عمر ، وكان يقال له ذو الرأى . فقال :

« يامعشر الأنصار ملكوا عليكم أمركم فان الناس فى فيئكم وفى ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة وانما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم . أبى هؤلاء الا ماسمعتم فمنا أمير ومنهم أمير »

ورد عمر بن الخطاب على الحباب فقال :

« هيهات لا يجتمع اثنان فى قَرَن [١] والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاتمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمرهم فيهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل أو متجانف لإثم [٢] أو متورط فى هلكة »

---

(١) القرن الحبل ولا يقال للحبل قرن حتى يقرن فيه بعيران .
(٢) متجانف لاثم أى متمايل متعمد .

فقام الحباب بن المنذر فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان أبوا عليكم ماسألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فانه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جُذَيلها [(١)] المحَكَّك وعُذَيقها المرَجَّب أما والله لو شئتم لنعدنها جَذعة »

لقد لج الحباب فى الخصومة ، واستعمل فى خطبته ألفاظا شديدة وحرض الأنصار على اجلاء المهاجرين من المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال له عمر محتداً ، إذن يقتلك الله . قال . بل إياك يقتل

فقال أبو عبيدة : « يامعشر الأنصار انكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير و بدل »

---

(١) الجذل أصل الشجرة وعود ينصب لتحتك به الجربى من الابل فتستشفى به والعذق النخلة بحملها وقول الحباب « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » مثل يضرب لمن يستشفى برأيه و يعتمد عليه أى قد جربتنى الأمور ولى رأى وعلم يستشفى بهما كما تستشفى هذه الابل بهذا الجذل . وصغره على جهة المدح وصغر العذق على جهة المدح أو التعظيم . والترجيب أن تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها وقيل ترجيبها هو أن يوضع الشوك حوالى الاعذاق لئلا يصل اليها آكل فلا تسرق وقد أراد بالترجيب التعظيم.

وعندئذ قام بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجى الأنصارى ، ويكنى أبا النعمان بن بشير قال :

« يامعشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا . فما ينبغى لنا أن نستطيل على النـاس بذلك ، ألا ان محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى ، وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم »

فأراد أبو بكر بحكمته أن يضع حداً لهذا الخلاف خشية استحكامه فرشح للخلافة اثنين من المهاجرين قائلا : « هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا »

فقالا : « لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فانك أفضل المهاجرين وثانى اثنين إذهما فى الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك ، أويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك نبايعك » . فلمـا ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، فهو على ذلك أول من بايع أبا بكر الصديق

ولما رأت الأوس ماصنع بشير بن سعد ، وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير (الذى كان رئيس الأوس يوم بعـاث ومن أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وكان أحد المشهود لهم بالعقل وأحد النقباء)

والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم

ولم يلق الرأى الذى قاله الأنصار « منا أمير ومنكم أمير » قبولا حتى من سعد نفسه فانه لما سمع به قال : « هذا أول الوَهْن » لأن انقسام القوة موهن لها ، وكذا رفضه عمر حيث قال : « هيهات لا يجتمع اثنان فى قَرَن » وأسرع عمر فى مبايعة أبى بكر علماً منه بمكانته واعترافاً بفضله

أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ، وأقبلت أسلم بجماعاتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول : « ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر » وكاد الناس من شدة الزحام يطأون سعد ابن عبادة الذى كان يومئذ مريضاً ولا يستطيع النهوض ، وحدثت بينه و بين عمر مشادة ، وأخيراً حمل سعد وأدخل فى داره وترك أياماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس و بايع قومك فقال :

« أما والله حتى أرميكم بما فى كنانتى من نبل ، وأخضب سنان رمحى وأضربكم بسيفى ما ملكته يدى ، وأقاتلكم بأهل بيتى ومن أطاعنى من قومى ، فلا أفعل وايم الله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم ما حسابى »

هذا ما أجاب به سعد من دعوه إلى مبايعة أبى بكر بعد أن علم أن البيعة قد تمت . ولـكن ماذا يفيد امتناعه عن البيعة ، وليس له أنصار ولا أغلبية ! لقد طمع فى الخلافة ، وظن أن قومه سيقاومون ويتمسكون به إلى آخر رمق من حياتهم . إنه توعد وهدد بمفرده لذلك لم يكترث به أحد فتركوه وشأنه

فلما علم أبو بكر بمـا قال سعد . قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد : انه قد لج وأبى ، وليس بمبايعكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده ، وأهل بيته ، وطائفة من عشيرته ، فاتركوه فليس تركه بضاركم . انما هو رجل واحد فتركوه عملا برأى بشير

تخلف على رضى الله عنه عن البيعة

قال الزهرى : « بقى علىّ و بنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها فبايعوه[١] » وكانت فاطمة أرسلت إلى أبى بكر تسأله عن ميراثها فى رسول الله مما أفاء الله عليـه بالمدينة وفدك[٢] وما بقى من خمس خيبر فأبى أبو بكر أن يدفع اليها شيئاً ؛ لأن رسول الله قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » فوجدت

(١) أصح الأقوال أن فاطمة توفيت بعد رسول الله بستة اشهر
(٢) قرية بخيبر

فاطمة على أبي بكر فى ذلك ولم تكلمه حتى توفيت

وقد كان علىّ رضى الله عنه يرى أنه أحق بالخلافة من أبى بكر لقرابته من رسول الله ، لذلك تخلف عن البيعة [١] مع أن رسول الله لما مرض وتعذر عليه الخروج إلى الصلاة . قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت له عائشة : يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لايسمع الناس من البكاء . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فعاودته مثل مقالتها . فقال : انكن صواحبات يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس

وفى تقديمه أبا بكر للصلاة إشارة إلى أنه الخليفة بعده . قال الزبير : لا أغمد سيفاً حتى يبايع علىّ . فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر . ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة . وقيل لما سمع علىّ بيعة أبى بكر خرج فى قميص ما عليه إزار ، ولا رداء عجلا حتى بايعه ثم استدعى

---

(١) وفى أسد الغابة رواية عن يحى بن عروة المرادى ؛ قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول قبض النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أرى أنى أحق بهذا الامر فاجتمع المسلمون على أبى بكر فسمعت وأطعت ثم ان أبا بكر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عنى فجعلها فى عمر فسمعت وأطعت ثم ان عمر أصيب فظننت انه لا يعدلها عنى فجعلها فى ستة أنا أحدهم فولوها عثمان فسمعت وأطعت ثم ان عثمان قتل فجاءوا فبايعونى طائعين غير مكرهين الخ

إزاره ورداءه فتجلله . قال ابن الأثير والصحيح ان أمير المؤمنين مابايع إلا بعد ستة أشهر

وممن تخلف عن بيعة أبى بكر عتبة بن أبى لهب ، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء ابن عازب ، وأبىّ بن كعب ومالوا مع علىّ ، وتخلف أيضاً أبو سفيان من بنى أمية

أفضل الناس بعد رسول الله

أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبو بكر » رضى الله عنه . وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة هو « علىّ » وهؤلاء جوزوا امامة المفضول مع وجود الفاضل وحجتهم أن قيام علىّ بالجهاد كان أكثر من قيام أبى بكر فوجب أن يكون علىّ أفضل منه لقوله تعالى :

﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾

وأجاب أهل السنة عنه بأن الجهاد على قسمين : جهاد بالدعوة إلى الدين وجهاد بالسيف . ومعلوم أن أبا بكر رضى الله عنه جاهد فى الدين فى أول الاسلام بدعوة الناس إلى الاسلام . و بقوله أسلم عثمان وطلحة والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم أجمعين

وعليّ رضى الله عنه إنما جاهد بالسيف عند قوة الاسلام ، فكان الأول أولى ، وحجة القائلين بفضل أبى بكر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم « ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر [1] »

---

(١) راجع كتاب معالم أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الرازى — الباب العاشر فى الإمامة — المسألة السابعة .

تجهيز رسول الله ودفنه

بعد أن بويع أبو بكر جهز رسول الله ودفن ليـلة الأربعاء وقد غسل فى قميصه وغسله العباس ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وأسامة ابن زيد ، وشـقران مولى رسول الله ، وحضرهم أوس بن خولى الأنصارى من بئر يقال لها الغَرس لسعد بن خيثمة بقباء ، وكان العباس وابناه يقلبونه ، وأسامة وشقران يصبان الماء ، وعلىّ يغسله وعليـه قميصه ، وهو يقول « بأبى أنت وأمى ما أطيبك حياً وميتاً » . وكفن فى ثلاثة اثواب يمانيـة [1] بيض كُـرْسُف (قطن) ليس فى كفنه قميص ولا عمامة ، ولا عروة

و بعد أن غسل رسول الله وكفن ، وضع على سرير وأدخل عليه المسلمون أفواجاً يقومون و يصلون عليه ، ثم يخرجون و يدخل آخرون ولم يؤمهم فى الصلاة عليـه امام حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ثم دخل الصبيان

وكان أول من دخل أبو بكر وعمر . فقالا : (السلام عليك أيها النبى

---

(١) وقيل فى ثلاثة أثواب سحولية وسحول مثل رسول بلدة باليمن يجلب منها الثياب

ورحمة الله وبركاته) ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت ، فسلموا كما سلم أبو بكر ، وعمر ، وصفوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد . فقال أبو بكر وعمر وهما فى الصف الأول حيال رسول الله :

« اللهم إنا نشهد أن قد بلّغ ما أنزل عليه ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه ، وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له . فاجعلنا ياإلهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه ، فانه كان بالمؤمنين رءوفاً رحيما . لا نبتغى بالايمان بدلا ، ولا نشترى به ثمناً أبداً »

فيقول الناس آمين آمين ، ثم يخرجون ويدخل غيرهم . ولما فرغوا نادى عمر خلوا الجنازة وأهلها

ولما اختلفوا فى موضع دفنه قال أبو بكر . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما مات نبى قط الا يدفن حيث تقبض روحه) قال علىّ : وأنا أيضاً سمعته ، فرفع فراشه ودفن ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ، كان بالمدينة رجلان أبو عبيدة بن الجراح يضرح حفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة الأنصارى هو الذى يلحد لأهل المدينة . فجاء أبو طلحة وألحد لرسول الله ، وجعل فى قبره قطيفة حمراء كان يلبسها فبسطت تحته ، وكانت الأرض ندية ، ورش قبره صلى الله عليه وسلم

بلال بتربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العَرْصة [1] حمراً و بيضاً ، ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ، ونزل قبره علىّ ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وشقران ، وأوس بن خولى الأنصارى

خطبة أبى بكر بعد البيعة

بعد أن تمت بيعة أبى بكر بيعة عامة ، صعد المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس قد وُلِّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى عندى ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى ، لا يدع أحد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله [2] »

فيالها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل ، مع التواضع والفضل ، والحث على الجهاد لنصرة الدين ، واعلاء شأن المسلمين

---

(١) عرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناء والجمع عراص وعرصات (٢) الجزء الثانى من تاريخ الكامل لابن الاثير

إرسال جيش أسامة بن زيد[1]

يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١ هـ (١١ يونيه ٦٣٢ م)

كان رسول الله قد استعمل أسامة بن زيد ، وأمره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل فى غزوة مؤتة ، وقد كان رسول الله قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها ، وفيهم عمر بن الخطاب وعسكر جيش أسامة بالجُرْف[2] فاشتكى رسول الله ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول الله عاصباً رأسه فقال :

« أيها الناس أنفذوا جيش أسامة » ثلاث مرات . وقال : « ان تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى امارة أبيه من قبله ، وايم الله انه كان خليقاً للامارة ، وايم الله انه لمن أحب الناس الىّ بعده »

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة أمه أم أيمن وكان أسود أفطس . أردفه رسول الله خلفه يوم الفتح على راحلته القصواء واستعمله وهو ابن ثمانى عشرة سنة . روى له عن رسول الله ١٢٨ حديثا وروى عنه ابن عباس وجماعة من كبار التابعين وكانت وفاته بالمدينة وقيل بوادى القرى وحمل الى المدينة سنة ٥٤ هـ

(٢) الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . انظر خريطة مكة والمدينة من (كتاب محمد رسول الله) للمؤلف

وذلك لأن الناس طعنوا فى امارة أسامة ، لأنه كان شاباً لم يتم العشرين من عمره

توفى رسول الله ولم يسر الجيش وارتد كثير من العرب ونجم النفاق ، واشرأبت أعناق اليهود والنصارى و بقى المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم ، وقلة عددهم ، وكثرة عدوهم . فقال الناس لأبى بكر : ان جيش أسامة جند المسلمين والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغى أن تفرق عنك جماعة المسلمين

فماذا يصنع أبو بكر ؟ انهم يعترضون على امارة أسامة لصغر سنه ، و يعترضون على إرسال جيش المسلمين إلى الشام لارتداد العرب ، وقلة عدد المسلمين ، وخوفهم على مركزهم بالمدينة . غيرأن رسول الله كان يشــدد فى إرسال جيش أسامة ، وقد أخــذ أبو بكر عهداً على نفسه بأن لا يعصى الله ورسوله . فهل يخالف أمر رسول الله ؟ كلا فان ذلك ليس من طبيعته ، ولا من خلقه ، وانمــا خلقه الثبات إلى آخر لحظة وتنفيذ أوامر رسول الله بكل دقة فى كل كبيرة وصغيرة مهما كلفه ذلك لقوة ايمــانه ، وثبات يقينه ، وعملا بواجب الصداقة . لهــذا كانت اجابته للمعترضين فى غاية القوة حيث قال .

« والذى نفس أبى بكر بيده لوظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولم يبق فى القرى غيرى لأنفذته »

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه فى الرجوع وطلب اليه الانصار ان أبى أن يولى عليهم من هو أقدم سناً من أسامة :

« لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فقال عمر : ان الأنصار أمرونى أن أبلغك وانهم يطلبون اليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة . فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر فقال له :

« ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه

فخرج عمر الى الناس بعد أن سمع ورأى من أبى بكر مارأى . فقالوا له ماصنعت ؟ فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت فى سببكم من خليفة رسول الله

واجابة أبى بكر بهذه القوة تذكرنا بما قاله رسول الله لعمه أبى طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته : (ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته)

خرج أبو بكر حتى أتى الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر ، فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله ، والله لتركبن أو لأنزلن . فقال « والله

لاتنزل ووالله لا أركب وما عليّ أن أغبر قدمى فى سـبيل الله ساعة . فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سـبعمائة خطيئة » حتى اذا انتهى قال ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل ومعنى ذلك أنه يستأذن أسامة ـ قائد الجيش ـ أن يترك له عمر لأنه كان فى الجيش فأذن له [١] وكان إرسال الجيش بعد بيعة أبى بكر بيوم أعنى يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول

وصية أبى بكر للجيش

أوصى أبو بكر جيش أسامة فقال :

« يا أيها الناس قِفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى :

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغـدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم ومافرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله »

(١) ودع أبو بكر أسامة من الجرف ورجع . والجرف موضع قريب من المدينة

وقال لأسامة « اصنع ما أمرك به نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم . ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبِلَ [(١)] ولا تقصرن من شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعجلن لما خلفت عن عهده »

فسار أسامة وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التى ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبه راجعاً من غير أن يفقد أحداً من رجاله

وكان انفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه

ولم نعثر فى المراجع التاريخية على عدد جيش أسامة ولا على قوة جيش العدو وخسائره ولم نعلم ماهى الغنائم التى غنمها المسلمون

---

(١) فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشاً بعد حجة الوداع وقبل وفاته وأمر عليهم أسامة بن زيد وأمره أن يوطىء خيله آبل الزيت — بلفظ الزيت من الأدهان بالأردن من مشارف الشام — معجم البلدان

امارة باذان على اليمن[1]

فى عهد رسول الله

باذان رجل من الفرس بعثه كسرى ابرويز الى اليمن نائباً عليها فبقى الى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

ولما كاتب النبى كسرى بما كاتبه مزق كسرى الكتاب وبعث الى باذان أن أرسل الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين وكتب معهما الى النبى يأمره بالمسير معهما الى كسرى فقال لهما رسول الله ارجعا وقولا لباذان أسلم فان أسلم أمره على ما تحت يده وأملكه على قومه . فأتيا الى باذان وكان كسرى قد مات . فقال باذان انى لأراه نبياً ولننظرن فان كان ما قال حقاً فانه لنبى مرسل ، وان لم يكن فنرى فيه رأينا . فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه بن كسرى بقتل كسرى ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن ، فأسلم باذان وأسلم معه جماعة من العجم وبعث بذلك الى النبى وكان ذلك سنة ١٠ هجرية . فجمع له النبى عمل اليمن وأمّره

---

(١) صحة اسمه : باذان بالنون لاباذام كما ذكر خطأ بتاريخ الطبرى الجزء الثالث صفحة ٢١٣ و٢١٤ المطبوع بالمطبعة الحسينية المصرية

على جميع مخاليفه فلم يزل عاملاً عليها حتى مات

فلما مات باذان فرق رسول الله أمراءه فى اليمن بالكيفية الآتية :

(١) عمرو بن حزم على نجران

(٢) خالد بن سعيد بن العاص على مابين نجران وزبيد

(٣) عامر بن شهر الهمدانى على همدان

(٤) شهر بن باذان على صنعاء

(٥) الطاهر بن أبى هالة على عك والاشعريين

(٦) أبو موسى الأشعرى على مأرب

(٧) يعلى بن أمية على الجند

(٨) زياد بن لبيد الأنصارى على أعمال حضرموت

(٩) عكاشة بن ثور على السكاسك والسكون

(١٠) عبد الله بن قيس على بنى معاوية بن كندة

وكان معاذ بن جبل معلماً يتنقل فى عمالة كل عامل باليمن وحضرموت

ظهور المتنبئين

فى بلاد العرب

ادعى النبوة بعض العرب فى الجهات النائية عن المدينة ومكة مثل اليمامة واليمن توصلا الى الملك والرياسة والتغلب على القبائل المجاورة لهم فمنهم من حاول محاكاة القرآن تغريراً بعقول السذج من العرب فجاء كلامه سخيفاً مضحكا لا معنى له ومنهم من لم يقتصر على ذلك بل أتى بالأعاجيب ، وما هى إلا شعبذة وكهانة وسحر مبين لكنهم افتضحوا وظهر كذبهم ونفاقهم وعدا ذلك فانهم أحلوا المحرمات وارتكبوا الفواحش فكان مصيرهم الخذلان والفشل وقد خضعت جميع هذه القبائل الى الاسلام بفضل حزم أبى بكر ومحاربته أهل الردة كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا . والآن نبدأ بأخبار الأسود العنسى النبى الكذاب

الأسود العنسى النبى الكذاب

الأسود العنسى يلقب بذى الخمار لأنه كان معتماً متخمراً دائماً (١)

---

(١) متخمراً لابساً الخمار ثوب تغطى به المرأة رأسها

واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسى وعنس بطن من مَذْحج [١]
وكان كاهناً مشعبذاً يُرِى قومه الأعاجيب ويخلبهم بحلاوة منطقه . ادعى
النبوة حين مرض النبي واتبعه مذحج عامة وكانت ردته أول ردة فى
الاسلام على عهد رسول الله وقد سمى نفسه رحمن اليمن أى انه يتكلم
باسم الرحمن كما سمى مسيلمة رحمن اليمامة ويقال كان له شيطان يخبره
بكل شيء

فغزا نجران وكان عليها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد فأخرجهما
ومعه ٧٠٠ فارس الى صنعاء وعليها شهر بن باذان فخرج اليه شهر
فقتله الاسود . وكان قواده قيس بن عبد يغوث المرادى ومعاوية بن
قيس الجنبى ويزيد بن محرم ويزيد بن حصين الحارثى ويزيد بن الأفكل
الأزدى . استولى الأسود على صنعاء وغلب على حضرموت الى أعمال
الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن ، وقد استولى على جنوب
غربى بلاد العرب فى أقل من شهر وأسند أمر جنده الى قيس بن
عبد يغوث وأسند أمر الابناء [٢] الى فيروز وداذويه فلما أثخن فى
الأرض استخف بقيس وبفيروز الديلمى وداذويه

---

(١) البطن دون القبيلة (٢) الابناء هم من أولاد الفرس الذين سيرهم
كسرى أنوشروان مع سيف بن ذى يزن الى اليمن لقتال الحبشة فأقاموا باليمن

خاف من بحضرموت من المسلمين أن يحار بهم الأسود أو يظهر كذاب آخر مثله فأتى من باليمن كتاب من رسول الله يأمرهم بقتل الأسود فقام معاذ يتنقل فى القبائل يعلمهم الاسلام فقويت نفوس المسلمين وكان الذى قدم بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم وبَر بن يُحنّس الازدى

قتل الأسود العنسى

من سخافة عقل الأسود استخفافه بقائد جيشه و بفيروز ، وداذويه وهم الذين أعانوه على اخضاع اليمن له فى مدة قصيرة . ثم انه بعد أن قتل شهر بن باذان تزوج امرأته آزاد وهى ابنة عم فيروز . فلما علم المسلمون تغيره على رئيس جنده دعوه وأنبأوه بكتاب رسول الله بقتل الأسود ففرح فيروز لذلك النبأ ، وكلموا آزاد زوجته فى قتله ، وكانت تبغضه لأنه قتل زوجها ولأنه كان سيئ الخلق فاسقاً

تمكن فيروز ، وداذويه ، وقيس من دخول القصر بالرغم من وجود الحراس وذلك بواسطة نقب نقبوه باشارة آزاد ثم انقضوا عليه وقتلوه وجزوا رأسه . ولما طلع الفجر نادوا بشعار المسلمين وهو الأذان ولما اجتمع المسلمون والكفار القوا اليهم الرأس ، و بذلك خلصت صنعاء والجَنَد [1] من هذا الشر المستطير ، واتفق الناس على تولية معاذ بن جبل فكان يصلى بالناس ، وعاد عمال رسول الله إلى أعمالهم

---

(١) الجند بالتحريك . قال أبو سنان اليمامى اليمن فيها ٣٣ منبرا قديما و ٤٠ حديثا وأعمال اليمن فى الاسلام مقسومة على ثلاثة ولاة فوال على الجند ومخاليفها وهو أعظمها ووال على صنعاء ومخاليفها وهى أوسطها ووال على حضرموت ومخاليفها وهو أدناها والجند مسماة بجند بن شهران بطن من المعافر

وكتبوا إليه صلى الله عليه وسلم بالخبر ، فوصل الرسول المدينة صبيحة اليوم الذى توفى فيه رسول الله ، وكان بين خروج الأسود ومقتله نحو أربعة أشهر

وقد جاء فى أسد الغابة عند ترجمة باذان أن باذان كان له أثر كبير فى قتل الأسود مع أنه لم يكن له أى أثر فى ذلك لأن باذان مات فى عهد رسول الله وفرق صلى الله عليه وسلم أمراءه على اليمن فكان شهر ابن باذان على صنعاء (١) ثم استولى عليها الأسود الذى قتل غيلة كما تقدم

(١) صنعاء هى أم اليمن وقطبها لانها فى الوسط منها وكان اسمها فى الجاهلية أزال وقيل سميت باسم الذى بناها وهو صنعاء بن أزال . قال ياقوت صنعاء منسوبة الى جودة الصنعة وهى مشهورة بجودة فواكهها وبنى ابرهة بصنعاء كنيسة يقال لها القليس وقد ذكرناها فى كتاب « محمد رسول الله »

قتال أهل الردة

لما توفى رسول الله اشتد الأمر على المسمين لارتداد العرب وخافوا الاغارة على المدينة بعد أن سير أبو بكر جيش أسامة اذ قد استفحل أمر مسيامة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طيئ وأسد ، وارتدت غطفان تبعاً لعيينة بن حصن فانه قال لنبى من الحليفين يعنى أسداً وغطفان أحب الينا من نبى من قريش ، وقد مات محمد وطليحة حى فاتبعه وتبعته غطفان ، وكان عيينة من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة

وقدمت رسل النبى صلى الله عليه وسلم من اليمامة وأسد وغيرها ودفعوا كتبهم لأبى بكر ، وأخبروه الخبر عن مسيامة ، وطليحة ، فعزم أبو بكر على قتالهم واستعد لصد هجمات المغيرين إلى أن يأتى جيش أسامة ، والآن نذكر ما كان من أمر طليحة الذى ادعى النبوة

طليحة الأسدى

طليحة بن خويلد الأسدى من بنى أسد بن خزيمة كان كاهناً فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة فى حياة رسول الله ، وظهر فى بنى أسد واتبعه

أفاريق [١] من بنى اسرائيل ونزل سميراء [٢] بطريق مكة، فوجه إليه النبى صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد ، وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخـذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً ، فاعتقد الناس أن السلاح لا يؤثر فيه فكثر جمعه ، ومات النبى صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك وأكثر من تبعه من أسد ، وغطفان ، وطيىء ، وفزارة وغيرهم، وفر ضرار ومن معه إلى المدينة . وكان طليحة يدعى أن جبرائيل يأتيه . وكان يسجع للناس الأكاذيب ، وكان يأمرهم بترك السجود فى الصلاة . ويقول : ان الله لا يصنع بتعفر وجوهكم ، وتقبح أدباركم شيئاً فاذكروا الله قياماً فان الرُّغوة فوق الصريح . وأنفذ طليحة وفوده إلى أبى بكر فى الموادعة على الصـلاة [٣] وترك الزكاة ، فأبى أبو بكر ذلك ؛ وكان لطليحة أخ يدعى حبال جعله على فريق من أتباعه . ولما عرض الوفد على أبى بكر ترك الزكاة قال : « والله لو منعونى عقالاً لجاهدتهم عليه [٤] »

---

(١) فى الحديث . أفاريق العرب وهو جمع أفراق وأفراق جمع فرقة

(٢) سميراء بفتح أوله وكسر ثانيه بالمد وقيل بالضم ماء بين ثور والحاجر فى طريق مكة

(٣) الموادعة : المصالحة

(٤) لو منعونى عقالا : قيل المراد الحبل وانما ضرب به مثلا لتقليل ما عساهم أن يمنعوه وقيل المراد بالعقال نفس الصدقة

الاغارة على المدينة

توقع أبو بكر الاغارة على المدينة فجعل بعد سير الوفد على أنصار المدينة علياً ، وطلحة ، والزبير ، وابن مسعود ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الاغارة من العدو ولقربهم فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة ليلا ، وخلفوا بعضهم بذى حُسى [١] ليكونوا لهم ردءاً [٢] فوافوا ليلاً الأنقاب ، وعليها المقاتلة فمنعوهم خارج المدينة وأرسلوا الى أبى بكر بالخبر فخرج اليهم جيش المدينة واتبعوهم حتى إذا كانوا بذى حُسى خرج إليهم أصحاب طليحة بقرب قد نفخوها وفيها الحبال فدهدهوها [٣] على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ، ورجعت بهم إلى المدينة ، ولم يصرع مسلم ، وظن الكفار بالمسلمين الوهن ثم انضم الى الرجال طليحة غيرهم من أصحابه ، وبات أبو بكر بالمدينة يعبئ الجيش ثم خرج ليلا يمشى وعلى ميمنته النعمان بن مقرّن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن وعلى الساقة سويد بن مقرّن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد ، فقاتلهم المسلمون حتى ولوا مدبرين ، واقتفى أثرهم أبو بكر حتى نزل بذى القَصَّة [٤] وكان ذلك أول الفتح فوضع

---

(١) ذو حسى : واد بديار عبس وغطفان (٢) معينا (٣) دحرجوها
(٤) ذو القصة موضع على بريد من المدينة .

بها الحامية وعليها النعمان بن مقرّن ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتاً

كانت هذة الموقعة صغيرة ، ولكن كان للنصر الذى أحرزه أبو بكر شأن كبير ، ووقع عظيم فى النفوس . وقد كان المرتدون يتحدثون فيما بينهم بقلة عدد المسلمين فلو أنهم انهزموا لكان الخطب فادحاً وعلى أثر هذا الانتصار طرقت المدينة الصدقات فانتعش المسلمون وقويت عزيمتهم وكان أول من جاء بالصدقات إلى الخليفة وفود بنى تميم و بنى طيء

عودة أسامة

سنة ١١ هـ (سبتمبر سنة ٦٣٢م)

وأخيراً عاد أسامة من غزوته ، وأصبحت المدينة فى مأمن من الخطر ، ووزع أبو بكر الغنائم على الناس ، وقد نال أبو بكر ما أراد من ارسال أسامة ، واعتقد العرب بقوة المسلمين . ثم إن أبا بكر استفاد من الفرصة التى سنحت له بطرد المرتدين من ذى القصة إلى الرَّبَذَة (١) واستخلف أسامة على المدينة وقال له ولجنده أريحوا وأريحوا ظهوركم ثم خرج فى الذين خرج معهم إلى ذى القصة وهم قوة صغيرة . فقال له المسلمون : ننشدك الله ياخليفة رسول الله ألاّ تعرض نفسك فانك إن تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر . فقال : « لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسى »

سار أبو بكر الى ذى حسى ، وذى القصة حتى نزل بالأبرق (٢) فاقتتلوا فهزم الحارث ، وعوف ، وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت

---

(١) الربذة من قرى المدينة على ثلاثة أميال وبها قبر أبى ذر وجماعة من الصحابة

(٢) موضع كان من منازل بنى ذبيان .

عبس ، و بنو بكر ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً ، وغلب على بنى ذبيان و بلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم . ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة وهو ببُزَاخَة [1] وكان رحل من سميراء إليها ، فأقام عليها ، وعاد أبو بكر الى المدينة

---

(١) بزاخة ماء لبنى أسد بأرض نجد .

ارسال البعوث إلى المرتدين

شعبان سنة ١١ هـ (اكتوبر سنة ٦٣٢ م)

لما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءتهم صدقات كثيرة تفضل بها عليهم، قطع أبو بكر البعوث ، وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء وفيما يلي أسماء القواد ووجهتهم:

(١) خالد بن الوليد : سار الى طليحة بن خويلد : الأسدى فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له

(٢) عكرمة بن أبى جهل : الى مسيلمة

(٣) المهاجر بن أبى أمية : الى جنود العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ثم يمضى الى كندة بحضرموت

(٤) خالد بن سعيد : الى مشارف الشام

(٥) عمرو بن العاص : الى قضاعة ووديعة

(٦) حذيفة بن مِحْصَن الغلفانى : الى أهل دبا

(٧) عرفجة بن هرثمة : الى مهرة

(٨) شرحبيل بن حسنة : فى أثر عكرمة بن جهل فاذا فرغ من اليمامة لحق بخيله الى قضاعة

(٩) معن بن حاجز : الى بنى سليم ومن معهم من هوازن

(١٠) سويد بن مقرن : الى تهامة باليمن

(١١) العلاء بن الحضرمى : الى البحرين

هؤلاء هم القواد الذين اختارهم أبو بكر لقتال أهل الردة ، وعقد لكل واحد منهم لواء ومن هذا يتبين أنهم أرسلوا الى جميع العرب الذين كانوا قد ارتدوا ما عدا قريش ، وثقيف ، فما أصعب مهمة أبى بكر ومهمة قواده الذين كلفوا باخضاع المرتدين واعادتهم الى لواء الاسلام ، ولم يبق بالمدينة غير قوة صغيرة ، و بقى أبو بكر فى المدينة ولم يبعث عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير مع كفاءتهم الحربية ، بل أبقاهم معه لاستشارتهم

فصلت الأمراء من ذى القصة ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده ، وقد عهد اليهم عهده وكتب الى من بعث اليه من جميع المرتدين

وهذا نص الكتاب الذى أرسله أبو بكر الى المرتدين من العرب وأعطى كل أمير نسخة منه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة أقام على اسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى ، فانى أحمد

اليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . نُقر بما جاء به ، ونكفر من أبى ونجاهده

« أما بعد فان الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من أدبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعاً وكرهاً ، ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفّذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذى عليه . وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الاسلام فى الكتاب الذى أنزل ، فقال إنك ميّت وانهم ميّتون ، وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون . وقال للمؤمنين وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، حيّ قيّوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم . حافظ لأمره ، منتقم من عدوه يجزيه وانى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله فان كل من لم يهده الله ضال . وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه الله مخذول ، فمن

هداه الله كان مهتدياً ومن أضله كان ضالاً . قال الله تعالى من يهد الله فهو المهتدى ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ولم يُقبل منه فى الآخرة صَرْفٌ ولا عدْلٌ[١] . وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالة بأمره واجابة للشيطان . قال الله تعالى . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه[٢] . أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو . بئس للظالمين بدلا . وقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً . انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . وانى بعثت اليكم (فلاناً) فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان وأمرته أن لايقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب له وأقرَّ وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه . ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لايبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرارى ولا يقبل من أحد الا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الأذان . فاذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا عاجلوهم . وإن أذنوا

---

(١) الصرف التوبة والعدل الفدية .

(٢) فسق عن أمر ربه : خرج عن طاعته .

اسألوهم ما عليهم فان أبوا عاجلوهم وان أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم »

هذا اعلان عام للمرتدين وقد أمرهم بالخضوع والعودة الى الاسلام حالاً بمجرد الدعوة والا كان كل أمير فى حل من قتل من أبى وحرقه واستعمال الشدة معه وسبى الذرارى والنساء

وأعطى لكل قائد عهداً يوصيه بما يجب عليه أن يتبعه و يسلكه للقيام بالمهمة التى عهد اليه بها وهذا نص العهد :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفلان) حين بعثه لقتال من رجع عن الاسلام وعهد اليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله . سره وعلانيته ، وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ما عليهم و يعطيهم الذى لهم . لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن أجاب الى أمر الله عز وجل قَبِل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف . وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله . فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به . ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه لا يقبل

من أحد شيئاً أعطاه الا الاسلام . فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ومن أبى قاتلة . فان أظهره الله عليــه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران . ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم و يعلم ماهم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين و يرفق بهم فى السيروالمنزل و يتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض و يستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول »

موقعة بزاخة

وفرار طليحة الى الشام

وجه أبو بكر خالد بن الوليد لمحاربة طليحة فاذا فرغ من قتاله سار الى مالك بن نويرة بالبُطاح (١)

وكان أبو بكر بعث عدى بن حاتم (٢) قبل خالد بن الوليد الى طيء وأتبعه خالداً وأمره أن يبدأ بطيء ومنهم يسير الى بزاخة ثم الى البطاح ولا يبرح اذا فرغ من قوم حتى يأذن له وأظهر للناس أنه خارج بجيش الى خيبر حتى يلاقى خالداً وذلك بقصد إرهاب العدو

قدم عدى بن حاتم الى طيء كما أمره أبو بكر ليدعوهم الى الاسلام قبل أن يحاربهم خالد . فلما دعاهم وخوفهم طلبوا اليه أن يتوسط فى تأخير الجيش عنهم ثلاثة ايام حتى يتمكنوا من سحب من انضم منهم

---

(١) البطاح ماء فى ديار بنى أسد بن خزيمة .

(٢) عدى بن حاتم الطائى الذى يضرب بأبيه المثل فى الجود وقد وفد عدى على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع فى شعبان فأسلم وكان نصرانياً ووفد على أبى بكر فى الردة بصدقات قومه وثبت على الاسلام ولم يرتد وكان جوادا شريفاً فى قومه معظما عندهم وعند غيرهم . حاضر الجواب وكان يفت الخبز للنمل ويقول انهن جارات ولهن حق . توفى سنة ٦٧ هـ.

الى طليحة بن خويلد الأسدى ببزاخة لئلا يقتلهم . فعاد عدى وأخبر خالداً بالخبر فتأخر وأرسلت طيء الى اخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم فعادت طيء الى خالد باسلامهم

بعد ذلك هم خالد بالرحيل الى جَديلة [1] فاستمهله عدى أيضاً ريثما يكلمهم . فذهب اليهم يدعوهم الى الاسلام فلم يزل بهم حتى أجابوه ، فعاد الى خالد باسلامهم ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود فى أرض طيء وأعظمه بركة عليهم لأنه كفاهم شر القتال بدخولهم فى الاسلام وأفاد جيش المسلمين وأراحهم من قتالهم وأفادهم بما انضم اليهم منهم ، وفى الحقيقة فان الخدمة التى أداها عدىّ بن حاتم للطرفين خدمة جليلة لا تقدر

وكان خالد قد أرسل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة فلقيهما حِبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا ورجعا ، فلما أقبل خالد بجيشه رأوا عكاشة وثابتا قتيلين فخرج المسلمون لذلك وقالوا قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم

سار خالد بجيشه الى بزاخة والتقى بجيش طليحة فتقاتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلفف فى كسائه يتنبأ لهم وكان عيينة بن

---

(١) بطن من بطون طيء .

حصن [1] يقاتل مع طليحة فى ٧٠٠ من بنى فزارة قتالا شديدا

ولما اشتدت الحرب كر عيينة بن حصن على طليحة وقال له : هل جاءك جبريل ؟ قال لا . فرجع فقاتل ثم عاد الى طليحة فقال له لا أبالك هل جاءك جبريل ؟ قال لا . فقال عيينة حتى متى ؟ قد والله بلغ منا . ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً . ثم كر على طليحة . فقال هل جاءك جبريل ؟ فقال نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال . قال لى : ان لك رحى كرحاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه . « انصرفوا يابنى فزارة فانه كذاب » فانصرفوا ، وانهزم الناس

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلة لامرأته « النوّار » فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال :

« يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا و ينجو بامرأته فليفعل » ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل على كلب وأسلم حين بلغه أن أسداً وغطفان قد أسلموا ، ولم يزل مقيما فى كلب حتى مات أبو بكر وكان قد خرج معتمراً ، ومر بجنبات المدينة . فقيل لأبى بكر : هذا طليحة فقال : ماذا أصنع به قد أسلم

---

(١) عيينة بن حصن يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح . وقيل أسلم قبل الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة ، وارتد . وكان عيينة فى الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف وتزوج عثمان بن عفان زوجته .

ولما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع أقبل أولئك يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلّم لحكمه فى أموالنا وأنفسنا . وقد بايع خالد من خضع وأسلم من القبائل ، وهذا نص البيعة :

« عليكم عهد الله وميثاقه ، لتؤمنن بالله ورسوله ، ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم »

ولم يقبل من أحد من أسد ، وغطفان ، وطيء ، وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثّلوا وعدوا على الاسلام فى حال ردتهم فأتوه بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم فى الآبار وأرسل إلى أبى بكر يعلمه ما فعل وأرسل اليه قرة ابن هبيرة ونفراً معه وزهيراً موثقين

أما أم زمل بنت مالك بن حذيفة بن بدر فكانت قد سبيت أيام أمها أم قرفة [1] فوقعت لعائشة فأعتقتها ورجعت الى قومها وارتدت واجتمع اليها الفل فأمرتهم بالقتال وكثف جمعها ، وعظمت شوكتها . فلما بلغ خالدا أمرها سار اليها فاقتتلوا قتالاً شديداً أول يوم وهى واقفة على جمل كان لأمها وهى فى مثل عزها فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها وقتل حول الجمل مائة رجل و بعث خالد بالفتح الى أبى بكر

(١) راجع أم قرفة فى كتاب محمد رسول الله للمؤلف ص ٣٠٧ و ٣٠٨ .

أسر عيينة بن حصن

كان خالد بن الوليـد أسر عيينة بن حصن فقدم به إلى أبى بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف : ياعدو الله أكفرت بعد إيمانك ! ؟ فيقول ما آمنتُ بالله طرفة عين فتجاوز عنـه أبو بكر وحقن دمه

مثال من كلام طليحة

وأخذ من أصحاب طليحة رجلا كان عالماً به فسأله خالد عمـا كان يقول . فقال : ان مما أتى به :

« والحمام واليمام ، والصرَد والصوّام [1] ، قد صمن قبلـكم بأعوام ليبلغن ملـكنا العراق والشام » ولم يبلغ ملك طليحة لا العراق ولا الشام بل هو الذى فر الى الشام

ويغلب على ظنى أن خالداً لما سمع هـذا السجع السخيف لم يتمالك من الضحك مع أن طليحة كان شاعراً

---

(١) الصرد وزان عمر نوع من الغربان ، ورجل صائم وصوام مبالغة .

هزيمة بني تميم

وقصة مالك بن نويرة

بعد أن أخضع خالد بن الوليد القبائل التى تقطن التلال الواقعة شمالى المدينة سار لقتال بنى تميم بهضبة عند الخليج الفارسى وهم قسمان : مسيحيون وعباد أصنام منتشرون فى المراعى الواسعة بين اليمامة ومصب الفرات ، وكانوا قد أسلموا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كسائر القبائل العربية وفرق فيهم عماله ، فكان الزبرقان منهم وسهل بن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع ابن مالك ومالك بن نويرة . ثم ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله ولما تولى أبو بكر الخلافة وانتصر فى أول موقعة له سار صفوان بن صفوان الى أبى بكر بصدقات بنى عمرو الا أنه فى هذه الأثناء تشاغلت تميم بعضها ببعض ، و بينا هم كذلك جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية قد أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة وكانت ورهطها فى أخوالها من تغلب تقود ربيعة معها الهذيل بن عمران فى بنى تغلب وكان نصرانياً فترك دينه وتبعها كما أن سجاح كانت قد اعتنقت الديانة المسيحية قبل أن تتنبأ ومعها عقة بن هلال فى النمر وزياد

ابن فلان فى اياد والسليل بن قيس فى شيبان ، فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم

وكانت سجاح تريد غزو المدينة ، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب الموادعة ، فأجابها إلا أن قبائل تميم الأخرى أبوا اتباعها ، وحاربوها فى عدة مواقع فانهزمت هى ومالك ، و بعد أن صالحتهم و بادلتهم الأسرى سارت فى جنود الجزيرة نحو الشمال قاصدة اليمامة وقالت :

« عليكم باليمامة وذفوا [1] ذفيف الحمامة . فانها غزوة صرامة [2] لا يلحقكم بعدها ملامة »

وكانت سجاح تريد مهاجمة مسيلمة ، فقصدت بنى حنيفة . فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها أن يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التى حولهم على حجر وهى اليمامة فأهدى لها ثم أرسل يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة . فقال مسيلمة : لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت ، وقد رد الله عليك النصف الذى ردت قريش

واجتمع مسيلمة بسجاح وضرب لها قبة وتزوجها وصالحها على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك النصف ، فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقبة وزياداً لأخذ النصف

---

(١) ذفوا — أسرعوا (٢) صرامة — قاطعة .

الباقى فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فانفضوا ، ويلاحظ أن سجاح لم تقم مع زوجها مسيلمة الذى آمنت به ، بل تركته وعادت الى الجزيرة

أما مالك بن نويرة فانه ندم على مافعل لاتباعه سجاح وتحير فى أمره وسار خالد بن الوليد بعد أن فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيئ يريد البُطاح ، وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره . وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا ماهذا بعهد الخليفة الينا ان نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب الينا فتركهم خالد ومضى ، وندمت الأنصار ولحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد فيها أحداً ، وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع . فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب ، وان امتنع أن يقتلوه . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع . وكان فيهم أبو قتاده ، فشهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا . وقال قوم انهم لم يفعلوا ذلك . فلما اختلفوا فى أمرهم أمر خالد بن الوليد بحبسهم فحبسوا فى ليلة باردة، وأمر منادياً فنادى أدفئوا أسراكم ، وهى فى لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكاً ، وسمع خالد الداعية [1] فخرج وقد فرغوا منهم فقال : « إذا أراد الله أمراً أصابه »

---

(١) الصراخ .

زواج خالد

تزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة . ولما وصل الخبر إلى المدينة . قال عمر لأبى بكر إن سيف خالد فيه رَهَق [١] وأكثر عليه فى ذلك . فقال يا عمر : « تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم [٢] سيفاً سله الله على الكافرين » وودى مالكا ، وكتب الى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قَبَاء [٣] وقد غرز فى عمامته أسهماً ، فقام عمر فنزعها وحطمها ، وقال له : قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته [٤] والله لأرجمنك بأحجارك . وخالد لا يكلمه يظن أن رأى أبى بكر مثله ، ودخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره ، وتجاوز عنه وعنفه فى التزويج الذى كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس . فقال : هلم إلىّ يا ابن أم سلمة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه . وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبى بكر يطالب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبى وودى مالكا من بيت المال . غير أن سير وليام موير يقول فى كتابه (الخلافة) طبعة ١٩٢٤ صفحة ٢٦ [٥] ان

---

(١) الرهق غشيان المحارم (٢) لاأغمد سيفا (٣) : قباء ثوب يلبس فوق الثياب وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ج أقبية (٤) نزا: وثب .

(5) Muir « Sir Willam » — The Caliphate (1924) Page26.

أبا بكر أمر برد الأسرى لكنه رفض أن يدى مالكا من غير أن يشير إلى المصدر الذى استند اليه فى الرفض ، وهذا يخالف ما جاء فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير وأسد الغابة . فقد ورد فى هذه المراجع أن أبا بكر أمر برد السبى وودى مالكا . وقد كانت زوجة مالك بن نويرة فى غاية الجمال . وكان خالد بن الوليد يحبها فقتل زوجها مالكا ليتزوجها مع أنه أقر بالاسلام . وقال مالك عند ما أمر خالد بقتله « إن هذه التى قتلتنى » يريد زوجته ، وهذا الذى استوجب غضب عمر على خالد . وكان يريد أن يرجمه باعتباره زانياً

وفى زواج خالد بزوجة مالك بن نويرة يقول أبو نمير السعدى :

إلا قل لحى أوطئوا بالسنابك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه بعرسه	وكان له هوى فيها قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف	عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك	الى غير أهل هالكاً فى الهوالك [1]

وكان ممن شهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح

(١) راجع تاريخ أبى الفدا .

قال فقلنا انا المسلمون . فقالوا ونحن المسلمون . قلنا فما بال السلاح معكم ؟ قالوا فما بال السلاح معكم ؟ قلنا فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . قال فوضعوها ثم صلينا وصلوا . وكان خالد يعتذر فى قتله انه قال وهو يراجعه ما اخال صاحبكم الا وقد كان يقول كذا وكذا قال أو ماتعده لك صاحباً ؟ ثم قدمه وضرب عنقه وعنق أصحابه

موقعة اليمامة

آخر سنة ١١ ﻫ و بدء سنة ٦٣٣ م

كان خالد بن الوليد يحارب المرتدين فى اليمامة من أتباع مسيلمة .

واليمامة موطن بنى حنيفة فى وسط شبه جزيرة العرب وفى اتجاه الشرق قليلا . الشرق منها يوالى البحرين و بنو تميم والغرب يوالى أطراف اليمن والحجاز والجنوب نجران والشمال أرض نجد . وطول اليمامة عشرون مرحلة وهى على أر بعة أيام من مكة . بلاد نخل وزرع

بلغ عدد جيوش مسيلمة ٤٠٠٠٠ مقاتل وهؤلاء هم الذين سار خالد لمحار بتهم

كان مسيلمة رجلا صغير الجسم دميم الوجه له كفاءة تؤهله للزعامة . وكان قد قدم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة واجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى قومه وادعى أنه شريك رسول الله فى النبوة فاتبعه بنو حنيفة . وكتب مسيلمة الى رسول الله يذكر أنه شريكه فى النبوة وأرسل كتابا مع رسولين فسألهما رسول الله عنه فصدقاه ، فقال لهما لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما .

وكان كتاب مسيلمة :

« من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . أما بعد فانى أشركت معك فى الأمر وان لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون »

فكتب اليه رسول الله :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

فلما مات رسول الله و بعث أبو بكر السرايا الى المرتدين أرسل عكرمة بن أبى جهل فى عسكر الى مسيلمة واتبعه شرحبيل بن حسنة استعجل وانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة الى أبى بكر بالخبر ، فكتب اليه أبو بكر

« لا أرينك ولا ترانى . لاترجعن فتوهن الناس ، امض الى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسير أنت وجندك لاتستبرئون الناس حتى تلقى بها مهاجر بن أبى أمية [١] باليمن وحضرموت »

وكتب الى شرحبيل بالمقام الى أن يأتى خالد فاذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة

فلما رجع خالد من البطاح الى أبى بكر واعتذر اليه فقبل عذره وأوعب معه المهاجرين والأنصار ، وعلى الانصار (ثابت بن قيس بن

(١) المهاجر بن أبى أمية أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لأبيها وأمها . كان اسمه الوليد فسماه رسول الله المهاجر .

شماس) وعلى المهاجرين (أبو حذيفة وزيد بن الخطاب) وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث اليه . فلما وصلوا اليه سار الى اليمامة بجيشه لملاقاة العدو

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء [1] وخرج اليه الناس وخرج مجّاعة بن مرارة فى سرية يطلب ثأراً لهم فى بنى عامر — فلم يكن يقصد قتال المسلمين — فأخذه المسلمون وأصحابه وقتلهم خالد واستبقاه لشرفه فى بنى حنيفة وكانوا مابين أربعين الى ستين وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره

وفى صباح اليوم التالى التقى الجيشان بسهل عقرباء وقال شرحبيل ابن مسيلمة « يابنى حنيفة قاتلوا فان اليوم يوم الغيرة فان انهزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير خطيبات . فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم » فاقتتلوا بعقرباء

---

(١) عقرباء : منزل من أرض اليمامة فى طريق النباج قريب من قرقرى من أعمال العرض وهو لقوم من بنى عامر بن ربيعة وهى التى خرج إليها مسيلمة لما بلغه مسير خالد إلى اليمامة فنزل بها لأنها فى طريق اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامة وراء ظهره

النباج بين البصرة واليمامة

وقرقرى أرض يمر بها قاصد اليمامة من البصرة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة والعرض بكسر أوله وسكون ثانية وادى اليمامة ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض .

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة وكانت مع عبدالله ابن حفص بن غانم فقتل فقالوا لسالم « نخشى عليك من نفسك » فقال « بئس حامل القرآن أنا اذاً »

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكان أول من لقى المسلمين نهار الرَّجَّال بن عُنْفُوَة [١] ، فقتله زيد بن الخطاب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حرباً مثلها قط وانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة الى مجّاعة والى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا الى مجاعة وهو عند زوجة خالد يحرسها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال « أنا لها جار » فتركوها وقال لهم « عليكم بالرجال » فقطعوا الفسطاط وحاق الخطر بالمسلمين فى هذه الساعة وأخذ بعضهم يحث على القتال ويستفز الهمم . فقال ثابت بن قيس :

« بئس ماعودتم أنفسكم يامعشر المسلمين : اللهم انى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ــ يعنى أهل اليمامة ــ وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء ــ يعنى المسلمين » ثم قاتل حتى قتل

وقال زيد بن الخطاب:

---

(١) نهار الرجال بن عنفوة كان قد هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وفقه فى الدين فبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من أمر المسلمين فكان أعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة . شهد له أنه سمع رسول الله يقول : انه قد أشرك معه فصدقوه واستجابوا له .

« لا تحوُّزَ بعد الرجال . والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم ، أوأقتل فأكلمه بحجتى . غضوا أبصاركم . وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً »

وقال أبو حذيفة :

« ياأهل القرآن زينوا القرآن بالفعال »

وقد كانت لهذه الكلمات الحماسية أثرها فى النفوس فحمل خالد فى الناس حتى ردوهم إلى أبعد مما كانوا واشتد القتال وقاتل العدو قتال المستميت . وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين ، وتارة لبنى حنيفة . وقُتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من كبار المسلمين

ولما رأى خالد ما الناس فيه واختلاط جيشه ، أراد أن يميزهم لتدب فيهم روح الغيرة فقال :

« امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حىّ ولنعلم أين نؤتى »

وكان أهل البوادى قد جنبوا المهاجرين والأنصار ، وجنبهم المهاجرون والأنصار . فلما امتازوا قال بعضهم لبعض « اليوم يستحى من الفرار » فما رؤى يوم كان أعظم نكاية ، غيرأن القتل كان فى المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه فى البوادى

وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه ، وأدرك خالد أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قتل مسيلمة فحمل عليهم ودعا الى البراز ونادى بشعار المسلمين يومئذ وكان « يامحمداه » فلم يبرز اليه أحد إلا قتله ، وحمل على

مسيلمة ففر وفر أصحابه ، وصاح خالد فى الناس فهجموا عليهم فكانت الهزيمة ، ونادى المحكم بن الطفيل وهو أحد قواد بنى حنيفة المشهورين « يابنى حنيفة الحديقة .الحديقة [١] » ثم رماه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بسهم فوضعه فى نحره فقتله : وكان ممن دخل الحديقة مسيلمة وقال البراء : « يامعشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقة » فتردد المسلمون خوفا عليه . ثم احتملوه فألقوه . فلما أشرف على الحديقة من الجدار اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التى كانت مغلقة حتى فتحها للمسلمين فاندفع المسلمون اليها كالسيل الجارف ، فأغلق الباب عليهم بعد دخولهم جميعاً ، ورمى بالمفتاح من وراء الجدار حتى لا يتمكن أحد من الخروج فاقتتلوا قتالا شديداً وقتل مسيلمة . قتله وحشى مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار كلاهما قد أصابه . ووحشى هذا هو قاتل حمزة كما تقدم فى السيرة النبوية . فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة وأخذهم السيف من كل جانب حتى قتلوا عن آخرهم وأخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف فى الحديد ليدله على مسيلمة وأخذ يكشف له عن جثث القتلى حتى عثر عليه . فقال مجاعة لخالد « ماجاءك إلا سَرعَان الناس [٢] وان جماهير الناس لفى الحصون» . فقال ويلك ماتقول ؟ قال هو والله الحق فهلم لأصالحك عن قومى ، وكان خالد

---

(١) الحديقة هى بستان فى أرض اليمامة لمسيلمة مسور بحائط قوى كانوا يسمونه « حديقة الرحمن » فسموه « حديقة الموت » (٢) سرعان الناس أوائلهم

نهكته الحرب وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب فقد رق وأحب الدعة والصلح . ثم قال مجاعة : « انطلق اليهم فأشاورهم وننظر فى هذا الأمر فأرجع اليك » فانطلق ودخل الحصون ، وليس فيها إلا النساء والصبيان ، ومشيخة فانية ورجال ضعفى فظاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهم ثم رجع فأتى خالداً فقال : قد أبوا ما صالحتك عليه وقد أشرف لك بعضهم نقضاً علىّ وهم منى بُراء ـ فنظر خالد الى رءوس الحصون وقد اسودت ـ ولكن ان شئت صنعت شيئاً فعزمت على القوم . قال ما هو ؟ قال تأخذ منى ربع السبى وتدع ربعاً . فقال قد فعلت . قال : قد صالحتك

فلما فرغ فتحت الحصون فاذا ليس فيها الا النساء والصبيان والشيوخ . فقال خالد لمجاعة : : ويحك ! خدعتنى . قال : قومى ولم أستطع إلا ما صنعت

وقيل صالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبى ولما عرض هذا الصلح عارض قوم من بنى حنيفة ، ومنهم سلمة بن عمير الحنفى فانه أبى الا الحرب وتجنيد أهل القرى والعبيد غير أن مجاعة أصر على الصلح وكتب خالد كتاب الصلح وهذا نصه :

«هذا ماقاضى عليه خالد بن الوليد مجّاعة بن مرارة وسلمة بن عمير

وفلاناً وفلاناً . قاضاهم على الصفراء ، والبيضاء [١] ونصف السبي والحلقة [٢] والكراع [٣] وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين على الوفاء »

ثم وصل كتاب أبي بكر الى خالد أن يقتل كل محتلم لكنه وصل متأخراً لان خالداً كان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر . والذى أوصل كتاب أبي بكر هو سلمة بن سلامة بن وقش

وحشرت بنو حنيفة الى البيعة والبراءة مما كانوا عليه الى خالد وخالد فى عسكره

محاولة اغتيال خالد

لما اجتمعت بنو حنيفة للبيعة ، قال سلمة بن عمير لمجاعة استأذن لى على خالداً كلمه فى حاجة له عندى ونصيحة وقد أراد أن يفتك به فأذن له . فأقبل سلمة بن عمير مشتملا على السيف يريد ما يريد . فقال خالد من هذا المقبل ؟ قال مجاعة هذا الذى كلمتك فيه وقد أذنت له . قال : أخرجوه عنى . فأخرجوه عنه ففتشوه فوجدوا معه السيف

---

(١) الذهب والفضة (٢) السلاح (٣) الكراع وزان غراب من الغنم والبقر بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساعد .

فلعنوه وشتموه وأوثقوه وقالوا : لقد أردت أن تهلك قومك ، وايم الله ما أردت إلا أن تُستأصل بنو حنيفة ، وتسبى الذرية والنساء ، وايم الله لو أن خالداً علم أنك حملت السلاح لقتلك وما نأمنه ان بلغه أن يقتل الرجال ويسبي النساء بما فعلت فأوثقوه وجعلوه فى الحصن وتتابع بنو حنيفة على البراء مما كانوا عليه وعلى الاسلام . وعاهدهم سلمة على أن لا يحدث حدثاً و يتركوه فأبوا ولم يثقوا بحمقه أن يقبلوا منه عهداً فأفلت ليلا فعمد إلى عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفة فأتبعوه فأدركوه فى بعض الحوائط ، فشد عليهم بالسيف ، فاكتنفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلقه فقطع أوداجه [1]

زواج خالد للمرة الثانية

تقدم عند ذكر قصة مالك بن نويرة أن خالد بن الوليد تزوج أم تميم امرأة مالك بعد قتله ، وأن أبا بكر لما استدعاه اليه عنفه على ذلك لكنه فى هذه المرة أراد أن يتزوج أيضاً بابنة مجاعة فعرض عليه ذلك . فقال له مجاعة : « مهلاإنك قاطع ظهرى ، وظهرك معى عند صاحبك »

---

(١) الودج بفتح الدال والكسر لغة عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة والودجان عرقان غليظان يكتنفان ثغرة النحر يمينا ويسارا والجمع أوداج مثل سبب وأسباب .

قال أيها الرجل زوجنى فزوجه . فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب اليه كتاباً شديد اللهجة وهذا ماجاء فيه :

« لعمرى يا ابن أم خالد انك لفارغ تنكح النساء و بفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد »

فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول : « هذا عمل الأعَيْسرِ يعنى عمر بن الخطاب »

ثم ذهب وفد من بنى حنيفة الى أبى بكر وقص عليه ما كان من أمر مسيلمة ؟ وسألهم عن بعض أسجاع مسيلمة فقالوا له شيئا منها فقال « و يحكم ان هذا الكلام ما خرج من إلّ ولا برّ فأين يذهب بكم »

خسائر بنى حنيفة ـ قتل بعقرباء ٧٠٠٠ ، و بالحديقة نحو ٧٠٠٠ ، وفى الطلب نحو منها ، وكانت موقعة عقرباء أعظم مواقع أهل الردة

خسائر المسلمين ـ قتل من المهاجرين والأنصار من المدينة ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير المدينة ٣٠٠ أو يزيدون عدا الجرحى

أسماء من قتل باليمامة

من مشهورى الصحابة

أبو حبة بن غزية الأنصارى

أبو دجانة الأنصارى

أبو عقيل البلوى

أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى
جنادة بن عبد الله المطلبى القرشى
زرارة بن قيس الانصارى
السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى
السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه
سعد بن جماز الأنصارى
سلمة بن مسعود بن سنان الأنصارى
شجاع بن أبى وهب الأسدى
صفوان بن عمرو
ضرار بن الازور الأسدى
الطفيل بن عمرو الدوسى
عامر بن ثابت بن سلمة الأنصارى
عائذ بن ماعص الأنصارى
عباد بن بشر الأنصارى
عباد بن الحارث الأنصارى
عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى
عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول
عبد الله بن عتيك الأنصارى
عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى العامرى
على بن عبيد الله بن الحارث

عمارة بن حزم الانصارى
عمير بن أوس بن عتيك الانصارى
فروة بن النعمان
قيس بن الحارث بن عدى الانصارى
مالك بن أمية السلمى
مالك بن عمرو السلمى
مالك بن عوس بن عتيك الانصارى
مسعود بن سنان الاسود
معن بن عدى بن الجد البلوى
النعمان بن عصر بن الربيع البلوى
هريم بن عبد الله المطلبي القرشى
ورقة بن إياس بن عمرو الانصارى
الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومى ابن عم خالد
يزيد بن أوس
يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت

اسجاع مسيلمة

كان مسيلمة يصانع قومه و يلاطفهم مع ادعائه النبوة ليلتف قومه حوله وليكثر أتباعه وأنصاره ، وقد ساعده على ذلك نهار الرجال بن عنفوة الذى كان قد هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه فى الدين و بعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة ، لكنه مالبث ان انضم الى مسيلمة وصدقه فى الظاهر . لذلك قيل انه كان أعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة وهو الذى شهد ان مسيلمة يزعم انه رسول الله . وقد اتفق المؤرخون على أن مسيلمة ادعى النبوة قبل وفاة رسول الله غير أن الأستاذ مرجوليث يزعم انه تنبأ قبل مبعث رسول الله [1] وهذا من الغرابة بمكان وليس فى التاريخ مايؤيد زعمه . فما الذى ألجأه الى ذلك ؟ ان السبب الذى دعاه الى ذلك هو نفس السبب الذى دفعه الى الاعتراض والطعن فى السيرة النبوية لتشويهها ، انه يريد أن يفهم القارىء أن رسول الله هو الذى قلد مسيلمة وحذا حذوه ، فادعى النبوة ، وهو يعلم حق العلم أن مسيلمه كذاب ، وانه مقلد طامع فى الملك ، ولهذا قدم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية « مسيلمة »

The Encyclopaedis of Islam : Musailima.

وسأله أن يشركه معه فى النبوة فأبى وحاول أن يضاهى القرآن تغريراً بعقول السذج من قومه فجاء كلامه سخيفاً

وانا بعد ذلك نورد من أسجاعه ما عثرنا عليه ليتبين القارئ عقلية هذا المتنبئ ومبلغ علمه

(١) والليل الدامس . والذئب الهامس . ما قطعت أسَيّد من رَطْب ولا يابس .

(٢) والليل الأطحم : والذئب الأدلم . والجذَع الأزلم . ما انتهكت أسَيّد من محرْم

(٣) إن بنى تميم قوم طهر لقاحٌ لا مكروه عليهم ولا أتاوة . نجاورهم ما حيينا باحسان . نمنعهم من كل انسان . فاذا متنا فأمرهم الى الرحمن

(٤) والشاء وألوانها . وأعجبُها السود وألبانها . والشاة السوداء واللبن الأبيض انه لعَجَب محض . وقد حُرّم المذْق فما لكم لا تمجّعون

(٥) يا ضِفدع ابنة ضِفدع . نِقّى ما تنقّين . أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين . لا الشارب تمنعين . ولا الماء تكدّرين

(٦) والمبَذّرات زرعاً . والحاصدات حصداً . والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً . والخابزات خبزاً . والثاردات ثرداً . واللاقمات لقماً . اهالة وسمناً . لقد فُضّلتم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدَر . ريفكم فامنعوه . والباغى فناوئوه

أعمال مسلمة المشئومة

لما ادعى مسيلمة النبوة لم يكتف قومه بسماع أسجاعه لتصديقه فيما يدعى ولا سيما انه كان يبلغهم معجزات النبى التى بهرت ألباب العرب ، فكانوا يأتون اليه ملتمسين منه المعونة عند الحاجه وليروا قدرته على اتيان المعجزات كجميع الأنبياء ، فكان يرى نفسه مضطراً الى اجابة مطالبهم والا كذبوه وسخروا منه وانصرفوا من حوله ، فحاول أن يظهر لهم بعض أعماله بيد أنه لم يوفق فى واحد منها ، وياليته لم يوفق فقط ، بل كانت تأتى أعماله بعكس المقصود . وهذا خذلان وخزى من الله تعالى ليتجلى للخلق كذبه وشؤمه على أتباعه

فأتته امرأة فقالت ان نخلنا لسحيق وان آبارنا لجرز [1] فادع الله لمائنا ونخلنا كما دعا محمد (صلى الله عليه وسلم) لأهل هَزْمان ، فسأل نهاراً عن ذلك . فذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه فى الآبار ففاضت ماء وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلاً قصيراً مكمماً ، ففعل مسيلمة فغار ماء الآبار وييس النخل والعياذ بالله

---

(١) انقطع الماء عنها فهى يابسة

وقال له نهار أمر يدك على أولاد بنى حنيفة مثل محمد ، ففعل وأمر يده على رءوسهم وحنكهم (١) فقرع كل صبى مسح رأسه ولثغ (٢) كل صبى حنكه

وجاء أبو طلحة النمرى فسأله عن حاله فأخبره انه يأتيه رجل فى ظلمة فقال : « أشهد أنك الكاذب وأن محمداً صادق ،ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر » فقتل معه يوم عقرباء كافراً

وقالوا لمسيلمة تتبع حيطانهم كما كان محمد يصنع فصل بها . فدخل حائطا من حوائط اليمامة فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط ، ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقى به حائطك حتى يروى وينبل كما صنع بنو المهرية ـ أهل بيت من بنى حنيفة ـ وكان رجل من المدينة قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله الى اليمامة فأفرغه فى بئره ثم نزع وسقى وكانت أرضه نهوماً فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة ، ففعل الرجل فعادت يباباً لا ينبت مرعاها

وأتاه رجل فقال : ادع الله لأرضى فانها مُسبخة كما دعا محمد لسلمى على أرضه ، فقال مايقول يانهار ، فقال قدم عليه سلمى وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سَجْلاً من ماء (٣) ومج له فيه (٤) فأفرغه فى

---

(١) حنكت الصبى تحنيكا مضغت تمرا أو نحوه ودلكت به حنكه

(٢) ثقل لسانه بالكلام (٣) السجل الدلو العظيمة (٤) مج الرجل الماء من فيه رمى به

بئره ثم نزع فطابت وعذبت ففعل مثل ذلك فانطلق الرجـل ففعل بالسجل كما فعل سلمى فغرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدرك ثمرها . وأتته امرأة فاستجلبته الى نخل لها يدعو لها فيها فجذت كبائسها [١] يوم عقرباء كلها

هذه بعض أعمال مسيلمة المشئومة التى أراد الله سبحانه وتعـالى أن يفضحه بها ، وقد أشرنا الى أن مسترمرجوليث زعم أن مسيلمة ادعى النبوة قبل النبي صلى الله علية وسلم ، لـكن هناك مايثبت عكس زعمه، فانه حاول تقليد الاسـلام فأخفق ، فمن ذلك أن عبد الله بن النواحة كان يؤذن له ، وكان الذى يقيم له حجير بن عمير فيزيد فى صوته و يبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم

(١) الـكبائس جمع الـكباسة وهى عنقود النخل والمراد قطعت عناقيد نخلها .

ردة أهل البحرين [1]

سنة ١١ هـ (٦٣٢ — ٦٣٣ م)

بينما كان خالد بن الوليد يواصل انتصاراته من شمال شبه جزيرة العرب الى وسطها كانت الجيوش التى أرسلها أبو بكر تحارب القبائل المرتدة والثائرة فى الجهات الأخرى. وكان المنذر بن ساوى العبدى عاملا على البحرين فى زمن رسول الله غير أنه مرض فمات بعد النبى صلى الله عليه وسلم بقليل فارتد بعده أهل البحرين وارتدت بكر

وكان الجارود بن المعلى قدم على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد عبد قيس سنة عشر فأسلم وكان نصرانيا ففرح النبى صلى الله عليه وسلم باسلامه فأكرمه وقربه . وبعد أن تفقه فى الدين رده الى قومه عبد القيس [2] فلما توفى رسول الله بلغه أنهم قالوا « لو كان محمد نبياً لم يمت » فجمعهم وقال لهم :

«أتعلمون انه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا نعم . قال فما فعلوا ؟

---

(١) البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج الفارسى بين البصرة وعمان واليمامة فى وسط الطريق بين مكة والبحرين (٢) يكنى الجارود أبا المنذر ، وقيل اسمه بشر وانما لقب الجارود لانه أغار فى الجاهلية على بكر وائل فأصابهم وجردهم

قالوا ماتوا .قال فان محمداً صلى الله عليه وسلم قدمات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله » . فأسلموا وثبتوا على اسلامهم

وكان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمى على قتال أهل الردة بالبحرين ، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفى فى مسلمة بنى حنيفة ، ولحق به أيضاً قيس بن عاصم المنقرى ، وانضم اليه عمرو والأبناء ، وسعد بن تميم ، والرباب لحقته فى مثل عدته ، فسلك بهم الدهناء [1] حتى كانوا فى بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول فى الليل فنفرت ابلهم بأحمالها فما بقى عندهم بعير ولا زاد ولا ماء ، فلحقهم من الغم مالا يعلمه إلا الله ووصى بعضهم بعضاً . فدعاهم العلاء فاجتمعوا اليه فقال : « ما هذا الذى غلب عليكم من الغم ؟ »

فقالوا : « كيف نلام ونحن ان بلغنا غداً لم تحم الشمس حتى نهلك »

فقال : « لن تراعوا أنتم المسلمون وفى سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تخذلوا »

كرامة العلاء بن الحضرمى

كان العلاء بن الحضرمى مجاب الدعوة فلما صلى الجيش صلاة الصبح

---

(١) أرض من ديار بنى تميم فيها سبعة جبال من الرمل الاحمر

جثا العلاء لركبتيه وجثا الناس فنصب فى الدعاء ونصبوا معه ، فلمع لهم سراب الشمس فالتفت الى الصف . فقال رائد ينظر ما هذا ، ففعل ثم رجع فقال . « سراب » فأقبل على الدعاء ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر . فقال : « ماء » فقام وقام الناس فمشوا اليه حتى نزلوا اليه ، فشربوا واغتسلوا ، فما ارتفع النهار حتى أقبلت الابل من كل وجه فأناخت وشربت ، ولم يكن بهذا المكان غدير ولا ماء قبل اليوم ، ثم ساروا فنزلوا بهجر [١] ، وأرسل العلاء الى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه ، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه فيما يلى هجر

تجمع المشركون كلهم الى الحطم بن ربيعة إلا أهل دارين [٢] وتجمع المسلمون كلهم الى العلاء بن الحضرمى

حرب الخنادق

كان كل فريق متخوفاً من الآخر فخندق المسلمون والمشركون ولبثوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنادقهم شهراً

---

(١) هجر مدينة وهى قاعدة البحرين (٢) دارين فرضة بالبحرين

جيش العدو يلهو و يسكر

طال مكث الجيشين فى الخنــدق ، ففى ذات ليلة سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة ، فأرسل العلاء عبــد الله بن حَذَف ليأتيهم بخبر القوم ، فعاد وأخبرهم أن القوم سكارى ، فخرج المسلمون عليهم ، واقتحموا الخندق ، ووضعوا السيوف فيهم ، واستولى المسلمون على مافى العسكر ، وقتــل الحطم ، قتله قيس بن عاصم بعــد أن قطع عفيف بن المنذر التميمى ساقه ، وقسم العــلاء الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثياباً ، فأعطى ثمامة بن أثال الحنفى خميصة ذاتِ أعلام كانت للحطَم يباهى بها وهى التى كانت سبباً فى قتله

المسير الى دارين وكرامة أخرى للعلاء

ثم قصد معظم الجيش الى دارين وهى فرضة بالبحرين ، وان ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليــلة لسفر البحر فى بعض الحالات . فركبوا اليها السفن ولحق باقى الجيش ببلاد قومهم ، فـكتب العلاء الى من ثبت على اسلامه من بكر وائل يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا ، وجاءت رسلهم الى العلاء بذلك فأمر أن يؤتى من وراء ظهره فندب الناس الى دارين وقال لهم :

« قد أراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر »

و بعـد ذلك ارتحلوا واقتحموا البحر على الخيل والابل وغير ذلك وفيهم المـاشى على قدميه ودعا ودعوا وهذا دعاؤهم .

« يا أرحم الراحمين ، يا كريم ياحليم يا أحـد ياصمد ياحىّ يامحيي الموتى ياحى ياقيوم . لا إله إلا أنت يا ربنا »

فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على رمل فوقه ماء يغمر أخفاف الابل

انتصار المسلمين وهزيمة المشركين

التقى المسلمون والمشركون واقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر المسلمون وانهزم المشركون . وأكثر المسلمون القتل فيهم وغنموا وسبوا فبلغ نفل الفارس سـتة آلاف والراجـل ألفين ، وقال فى ذلك عفيف بن المنذر :

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وجاء فى أسد الغابة أن العلاء بن الحضرمى هو من حضر موت حليف حرب بن أمية وقد خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها

اسلام راهب

كان مع المسلمين راهب من أهل هَجر فأسلم . فقيل له ماحملك على الاسلام ؟ قال ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخنى الله بعدها : (١) فيض فى الرمال (٢) تمهيد اثباج البحر « أى أعاليه أو معظمه » (٣) دعاء سمعته فى عسكرهم فى الهواء سَحراً :

« اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك ، والبديع فليس قبلك شىء ، والدائم غير الغافل ، الحى الذى لا يموت ، وخالق ما يرى وما لا يُرَى ، وكل يوم أنت فى شأن علمت كل شئ بغير تعلم »

فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق ، فكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسمعون هـذا منه بعد ، ولم يرو لنا التاريخ اسم هذا الراهب الذى أسلم

كتاب العلاء الى أبى بكر

كتب العلاء الى أبى بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الُحطَم وهذا نص الـكتاب :

« أما بعـد فان الله تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم إلا الشريد وقد قتل الله الحطم »

فكتب اليه أبو بكر : « أما بعد فان بلغك عن بنى شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك وخاض فيه المرجفون فابعث اليهم جنداً فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم فلم يجتمعوا ولم يصر ذلك من ارجافهم الى شى »

ردة أهل عمان ومهرة

عُمان اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع الا أن حرها يضرب به المثل . قال الزجاجى سميت عمان بعمان بن ابراهيم الخليل ، وعمان أرض جبلية يكتنفها الجبل الأخضر وسلسلة جبال أخرى صغيرة بالقرب من ساحل البحر ، وعاصمتها الآن مسقط على الخليج الفارسى

ومَهَرَة . قال صاحب معجم البلدان بالفتح والسكون هكذا يرويه عامة الناس ، والصحيح مهرة بالتحريك وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه ، هذا ما أثبته ياقوت فى معجمه ، غيرأن دائرة المعارف الاسـلامية كتبتها بالسكون هكذا Mahra وكتاب القرون الوسطى لجامعة كامبردج الجزء الثانى وكان الواجب أن تصحح بالتحريك Mahara . كذلك وقع فى نفس هـذا الخطأ مستر موير فى كتاب الخلافة . وتقع مهرة فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة العرب على المحيط الهندى بين حضرموت وعمان

نبغ بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى ، وكان يسامى فى الجاهلية الجلندى ، وادعى النبوة ، وغلب على عمان مرتداً ، والتجأ جيفر بن الجلندى رئيس أهل عمان وعَبَّاد الى الجبال والبحر ، ثم بعث جيفر

الى أبى بكر يطلب منه النجدة ، فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغلفانى من حمير [١] ، وأرسل عرفجة البارقى من الأزد الى مهرة ، فاذا قربا من عمان يكاتبان جيفراً ، فمضيا الى ما أمرا به ، وكان أبو بكر بعث عكرمة الى مسيلمة باليمامة ، واتبعه شرحبيل بن حسنة وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة ، فاذا فرغا منه سارا الى اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان ، فلما وصلوا رِجاما [٢] وهى قريب من عمان كاتبوا جيفراً وعباداً ، و بلغ لقيطامجىء الجيش فجمع جموعه ، وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذى كانا فيه فعسكرا بصحار [٣] وأرسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما ، وكاتبوا رؤساء من لقيط وانفضوا عنه ثم التقوا على دبا [٤] فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للقيط ، ورأى المسلمون الخلل والمشركون الظفر و بينما هم كذلك جاءت المسلمين النجدات من بنى ناجية ، وعليهم الخريت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم ، فقوى الله المسلمين فولى المشركون الأدبار وقتل منهم فى المعركة نحو (١٠٫٠٠٠)

---

(١) فى أسد الغابة حذيفة القلعانى والصواب ما ذكرنا كما جاء فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الاثير (٢) جبل طويل أحمر وهو الذى نزل به جيش أبى بكر يريدون عمان أيام الردة ويوم الرجام من أيامهم (٣) قال ياقوت هى قصبة عمان مما يلى الجبل وتوأم قصبتها مما يلى الساحل ، وهى مدينة طيبة الهواء كثيرة الخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس فى تلك النواحى مثلها (٤) دبا سوق من أسواق العرب بعمان .

وسبوا الذرارى وقسموا الأموال و بعثوا بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة وكان الخمس ٨٠٠ رأس ، و بقى حذيفة يسكن الناس و يحفظ النظام

أما مهرة فان عكرمة بن أبى جهل سار اليهم بعد أن فرغ من عمان ومعه جيوش من ناجية ، وعبد القيس ، وراسب ، وسعد ، فاقتحم بلادهم فوجد جمعين من مهرة ، أحدهما مع رجل منهم يقال له شخريت والآخر مع المصبّح أحد بنى محارب ، ومعظم الناس معه غير أنهما كانا مختلفين ، فكاتب عكرمة شخريتاً قبل أن يحاربه ، فأجابه وأسلم وانضم اليه ، ثم كاتب المصبح الذى كان معه معظم الناس يدعوه الى الاسلام ، فلم يجب اغتراراً بكثرة جيشه فسار اليه مع شخريت وحاربه فانهزم المرتدون ، وقتل رئيسهم ، وأصاب المسلمون كثيراً من الغنائم ومما أصابوا (٢٠٠٠) نجيبة [١] وأرسل عكرمة خمس الغنائم الى أبى بكر مع شخريت، واشتدت شوكة عكرمة ، وأسلم المرتدون

---

(١) النجيب الكريم الحسيب من الانسان والحيوان .

ردة اليمن

ارتد قيس بن عبد يغوث بن مكشوح باليمن ثانية لما بلغه وفاة رسول الله ، مع انه كان اشترك هو وفيروز وداذويه فى قتل الأسود العنسى كما تقدم ذكره ، فلما ارتد أراد التخلص من فيروز وداذويه فخدعهما ودعاهما إلى طعام صنعه لهما فدخل عليه داذويه فقتله ، وأما فيروز فلما هم بالدخول سمع امرأتين على سطحين تتحدثان فقالت إحداهما « هذا مقتول كما قتل داذويه » ففر إلى جبل خَوْلان وهم أخوال فيروز فامتنع بهم وكتب إلى أبى بكر يخبره وعمد قيس إلى تفريق الأبناء ، فلما علم فيروز جد فى حربه وأرسل إلى بنى عقيل بن ربيعة وإلى عك يستمدهم فمدوه بالرجال فخرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيساً بالقرب من صنعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم قيس وأصحابه ، وبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبى جهل من مهرة مع جيشه وقدم أيضاً المهاجر بن أبى أمية فى جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلى نجران فانضم اليه فروة بن مُسَيك المرادى ، فأقبل عمرو بن معدى كرب الذى كان قد ارتد حتى دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيساً أيضاً فأوثقه وسيرهما الى أبى بكر فقال لقيس :

« ياقيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وَلِيجَةً[١] من دون المؤمنين » فانتفى قيس من أن يكون قارف من داذويه شيئاً ، وكان قتله سراً فتجافى له عن دمه

وقال لعمرو بن معدى كرب :

« أما تستحى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور . لو نصرت هذا الدين لرفعك الله »

فقال لا جرم لأقبلن ولا أعود فخلى أبو بكر سبيله

ورجعا الى عشائرهما فسار المهاجر من نَجْران[٢] والتقت الخيول على أصحاب العنسى فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار الى صنعاء فدخلها وكتب الى أبى بكر بذلك

---

(١) الوليجة ــ البطانة (٢) نجران فى مخاليف اليمن من ناحية مكة دخل أهلها النصرانية بعد أن كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام

ردة حضرموت وكندة

حضرموت صقع ببلاد العرب قيل سمى بحضرموت بن قحطان لأنه أول من نزله ، وكان اسم هـذا الرجل عامراً ، فـكان إذا حضر حرباً أكثر من القتل فصـاروا يقولون عند حضوره حضر موت ثم جرى ذلك عليه لقباً وسكنوا الضـاد للتخفيف ، وجعلوا الاسم مركباً مزجياً على الأشهر ، ثم صـاروا يقولون للأرض التى كانت بها هـذه القبيلة حضرموت ثم أطلق على البلاد نفسها

تحد حضرموت غرباً باليمن وشرقاً بعمان وشمالاً بالدهناء ، وقال ياقوت وهى ناحية واسعة فى شرقى عـدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف

كان الأشعث بن قيس قدم على النبى صلى الله عليـه وسلم فى وفد كندة من حضر موت فأسلموا وسألوا أن يبعث عليهم رجـلاً يعلمهم السنن ويجبى صدقاتهم فأنفذ معهم زياد بن لبيد البياضي [1] عاملاً

---

(١) زياد بن لبيد الأنصارى يكنى أبا عبد الله خرج من المدينة الى رسول الله وأقام معه بمـكة حتى هاجر مع رسول الله الى المدينة فـكان يقال له مهاجرى أنصارى . شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله

للنبي صلى الله عليه وسلم يجبيهم ، فلما مات رسول الله نكص الأشعث عن بيعة أبي بكر رضى الله عنه ونهاه ابن امرئ القيس بن عابس فلم ينته ، فكتب زياد إلى أبي بكر بذلك ، فكتب أبو بكر إلى المهاجر ابن أبي أمية وكان على صنعاء بعد قتل العنسي أن يمد زياداً بنفسه ويعينه على المرتدين بمن عنده من المسلمين . فجمع زياد جموعه وأوقع بمخالفيه فنصره الله عليهم حتى تحصنوا بالنُّجَير[1] بعد أن رمّوه ، فحصرهم فيه ، ثم قدم اليهم عكرمة بجيشه فأعيوا عن المقام فى الحصن ، فاجتمعوا الى الأشعث وسألوه أن يأخذ لهم الأمان فأرسل الى زياد بن لبيد يسأله الأمان حتى يلقاه ويخاطبه فآمنه ، فلما اجتمع به سأله أن يؤمن أهل النجير ويصالحهم فامتنع عليه وراده حتى آمن سبعين رجلا منهم وفيهم أخو قيس وبنو عمه وأهله ونسى نفسه وأن يكون حكمه فى الباقى نافذاً ، فخرج سبعون فأراد قتل الأشعث وقال له أخرجت نفسك من الأمان بتكملة عدد السبعين فسأله أن يحمله الى أبى بكر ليرى فيه رأيه وفتحوا له حصن النجير وكان فيه كثير فعمد الى أشرافهم نحو ٧٠٠ رجل فضرب أعناقهم ولام القوم الأشعث وقالوا لزياد ان الأشعث غدر بنا . أخذ الأمان لنفسه وأهله وماله ولم يأخذ لنا وانما نزل على أن يأخذ لنا جميعاً ، وأبى زياد أن يوارى جثث من قتل وتركهم للسباع وكان هذا أشد على من بقى من القتل ، وبعث السبى مع نهيك

---

(١) النجير حصن قرب حضرموت

ابن أوس بن خزيمة وكتب الى أبي بكر انا لم نؤمنه الاعلى حكمك وبعث الأشعث في وثاق وماله معه ليرى فيه رأيه ، فأخذ أبو بكر يقرّعا الأشعث ويقول له فعلتَ . فعلت فقال . الأشعث استبقنى لحربك ، وسأله أن يرد عليه زوجته وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر لما قدم على رسول الله فزوجه وأخرها الى أن يقدم الثانية . فحقن أبو بكر دمه بعد أن أسلم أمامة ورد عليه أهله وقال له « انطلق فليبلغنى عنك خير »

ولما تزوج الأشعث أم فروة اخترط سيفه ودخل سوق الابل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة الا عرقبه وصاح الناس « كفر الأشعث » فلما فرغ طرح سيفه وقال انى والله ما كفرت ولكن زوجنى هذا الرجل أخته ولو كان ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه . يا أهل المدينة انحروا وكلوا . ويا أصحاب الابل تعالوا خذوا أثمانها . فما رؤى وليمة مثلها

مسير خالد الى العراق وصلح الحيرة

سنة ١٢ هـ — ٦٣٣ م

كان المثنى [١] بن حارثة الشيبانى ممن حارب وانتصر فى البحرين ، فاستأذن أبا بكر أن يغزو العراق ، فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد فتقدم نحو الخليج الفارسى ، وأخضع القطيف ، ثم قاد جيشه إلى دلتا الفرات ، ، و بلغ عدد جيشه ٨٠٠٠ مقاتل ، لكنه وجد مقاومة من جيش العدو ، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير الى العراق . وقد أخمدت الثورة فى جميع العرب فى أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية ، فاهتم أبو بكر بتوجيه الجنود الى جهات أخرى فأرسل جيشين إلى الشمال وأمر على أحدهما خالدا ، ومعه المثنى للزحف

---

(١) المثنى هو الذى أطمع أبا بكر والمسلمين فى الفرس وهون أمر الفرس عندهم وكان شهماً شجاعاً حسن الرأى . أبلى فى قتال الفرس بلاء لم يبلغه أحد ، وكانت تأتى أخبار انتصاراته أبا بكر فقال من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ فقال قيس بن عاصم : أما انه غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ولا ذليل الغارة . ذلك المثنى بن حارثة الشيبانى

نحو الأبُلّة [١] ثم الزحف نحو الحيرة [٢] وأمر على الجيش الثانى عياضا ووجهه إلى دومة بين الخليج الفارسى والبحر الأحمر ، ثم المسير الى الحيرة أيضاً ، فاذا سبق أحدهما الآخر كان أميراً على صاحبه . أما عياض الذى كانت وجهته دومة فقد عوقه العدو مدة طويلة ، وأما خالد فانه لم يلق مقاومة فى طريقه الى اليمامة كما لقى عياض ، وانضم اليه عدد كبير من البدو فتقوى بهم ، وكثر جيشه حتى صار عدده ١٠٫٠٠٠ مقاتل عدا جيش المثنى البالغ عدده ٨٠٠٠ وكان الجميع تحت قيادة خالد . فكان أول من لاقاه هرمز وكان العرب يبغضونه لظلمه ، ويضربونه مثلا فيقولون : « أكفر من هرمز » فكتب اليه خالد قبل خروجه :

أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

وقد جعل هرمز على مقدمته قباذ وأنوشجان ، وكانا من أولاد

---

(١) الأبلة بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة وهى أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب وكانت الأبلة حينئذ مدينة (٢) الحيرة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف وكانت الحيرة مركزا لجملة ملوك اعتنقوا المسيحية وحكموا أكثر من ٦٠٠ سنة تحت ظل الفرس

أردشير الأكبر ، فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة [١] فسبقه هرمز اليها ، فقدم خالد فنزل على غير ماء . فقال له أصحابه فى ذلك : ما نفعل ؟ فقال لهم : « لعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين » وتقدم خالد إلى الفرس ، وأرسل الله سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم

موقعة ذات السلاسل

خرج هرمز ودعا خالداً الى البراز ، وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد فبرز إليه خالد ، ومشى نحوه راجلاً ونزل هرمز أيضاً وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله ، وانهزم أهل الفرس بعد أن قتل منهم عدد عظيم ، وسميت الموقعة « ذات السلاسل » لأن فريقاً من جند الفرس قد قرنهم هرمز بالسلاسل خوفاً من فرارهم . ونجا قباذ وأنوشجان ، وأخذ خالد سلب هرمز ، وكانت قلنسوته بمئة ألف لأنه كان قد تم شرفه فى الفرس ، وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمئة ألف ، وكانت القلنسوة مفصصة بالجوهر ، وبعث خالد بالفتح والأخماس الى أبى بكر . ومما

---

(١) كاظمة على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان . والجو ما اتسع من الأودية والجمع الجواء مثل سهم وسهام

غنمه المسلمون فى ميدان القتال فيل فأرسل الى المدينة مع الغنائم . فلما طيف به ليراه الناس جعل ضعيفات النساء يقلن « أمن خلق الله هذا ؟ » فرده أبو بكر

حصن المرأة وحصن الرجل

ثم سار خالد حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة وخرج المثنى ابن حارثة حتى انتهى الى « حصن المرأة » فخاف المثنى بن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضى المثنى الى زوجها وهو فى حصنه المسمى « حصن الرجل » فحاصره واستنزلهم عنوة فقتلهم وغنم أموالهم . ولما بلغ المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى ، وكان هذا الحصن قصراً واسم المرأة كما جاء فى البلاذرى كامورزاد بنت نرسى ، وهى بنت عم النوشجان ، وانما سميت « المرأة » لأن أبا موسى الأشعرى قد نزل بها فزودته خبيصاً فجعل يكثر أن يقول أطعمونا من خبيص « المرأة » فغلب على اسمها

وقد نال كل فارس فى يوم ذات السلاسل ١٠٠٠ درهم والراجل الثلث

انهزام الفرس ثانيا

موقعه الثِّنْى [1]

صفر سنة ١٢ هـ — سنة ٦٣٣ م

لما وصل خبر انهزام هرمز الى المدائن عاصمة الفرس ، أرسل ملكهم أردشير جيشاً آخر وأمر عليه قارن بن قريانس . فلما انتهى إلى المذار [2] انضم الى الجيش المنهزم ورجعوا ومعهم قباذ وأنو شجان ونزلوا الثنى وهو نهر متفرع من الدجلة والتقوا بالمثنى الذى كان قد توقف عند الثنى فأحدق الخطر بالمثنى ، فوافاه خالد والتقوا فى الوقت المناسب ، ودارت رحى القتال بينهم وانتهى الأمر بفرار الفرس ، وقتل منهم نحو ٣٠٫٠٠٠ [3] سوى من غرق وفر ومن نجا منهم بالقوارب . وقد كان النهر عائقا فى سبيل اقتفاء أثر العدو ، غير أن الغنائم كانت عظيمة ،

---

(١) الثنى من كل نهر منعطفه ويقال الثنى اسم لكل نهر (٢) المذار فى ميسان بين واسط والبصرة وهى قصبة ميسان وبها قبر عبد الله بن على بن أبى طالب ويقال ان الحريرى صاحب المقامات قد مات بها (٣) ذكر هذا العدد الطبرى وابن الأثير لكن مستر موير فى كتابه الخلافة لم يحدد العدد بل قال ان عدد القتلى كان كثيراً وعلى كل حال فالعدد تقريبي

وقتل كل رجل قادر على الحرب ، وأسر النساء ، وأخذ الجزية من الفلاحين ، وصاروا ذمة ، وصارت أرضهم لهم ، وكان فى السبى أبو الحسن البصرى ، وكان نصرانياً وأمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الحرز سويد بن مقرن المزنى

أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الذى أرسله أردشير لامداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشى بن النباش ، وقتل عاصم انو شجان وقتل عدى بن حاتم قباذ ، وكان قارن قد تم شرفه ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً تم شرفه فى الأعاجم . وزاد سهم الفارس يوم الثنى على سهمه فى ذات السلاسل

موقعة الولجة[1]

شهر صفر سنة ١٢ هـ — ابريل سنة ٦٣٣ م

اضطرب البلاط الملكى فى فارس من جراء انتصارات العرب ، وتحدثوا فيها بينهم بأنه يجب محاربة العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية . فجند الملك جيشاً عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرى الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعى الاندرزغر ، وكان فارساً من مولدى السواد . وأرسل بهمن جاذويه فى أثره ليقود جيوش الملك وحشر الأندرزغر مَن بين الحيرة وكَسْكر ، ومن عرب الضاحية ، وتقدمت الجيوش المتحدة نحو الولجة بالقرب من ملتقى النهرين

أما خالد فانه ترك فرقة لحراسة الأراضى التى غزاها فى الدلتا وسار للقاء العدو من الثنى ، فاشتبك الجيشان بالولجة فى قتال طويل عنيف ، وقد انتصر المسلمون فيه بفضل تدابير قائدهم الذى باغت العدو وأجهده

---

(١) الولجة بأرض كسكر موضع مما يلى البر وكسكر كورة واسعة ينسب اليها الفراريج الكسكرية لانها تكثر بها جدا . وحد كورة كسكر من الجانب الشرقى فى آخر سقى النهروان الى أن تصب الدجلة فى البحر كله . أما نهروان فهى كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى حدها الاعلى متصل ببغداد

بكمين فى ناحيتين ، وكمين من الخلف ، وكانت الهزيمة كاملة، ففر الفرس وفر العرب الموالون لهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد عظيم ، ومضى الأندرزغر منهزماً فمات عطشاً فى الفلاة ، و بذل خالد الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة ، وسبى ذرارى المقاتلة ومن أعانهم

خطبة خالد

قام خالد فى الناس خطيباً يرغبهم فى بلاد العجم ، و يزهدهم فى بلاد العرب وقال :

«الا ترون إلى الطعام كرفغ التراب و بالله لولم يلزمنا الجهاد فى الله والدعاء إلى الله عز وجل ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأى أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والاقلال ممن تولاه ، ممن اثاقل عما أنتم عليه »

موقعة اليس [1]

شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ — مايو سنة ٦٣٣ م

انقسمت قبيلة بنى بكر فى القتال إلى قسمين ، قسم مع خالد وقسم مع الفرس

ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من انصارهم الذين أعانوا أهل الفرس ، غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم ، فاجتمعوا الى ألّيس وعليهم عبد الأسود العجلى ، وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلمو بنى عجل

كتب أردشير ملك الفرس الى بهمن جاذوية وهو بقسياثا أن سر حتى تقدم أليس بجيشك الى من اجتمع بها من فارس ونصارى

---

(١) أليس مصغر فى أول أرض العراق من ناحية البادية وهى على صلب الفرات قال أبو مقرن الأسود بن قطبة يذكر يوم أليس

لقينا يوم أليس وأمغى	ويوم المقر آساد النهار
فلم أر مثلها فضلات حرب	أشد على الجحاجحة الكبار
قتلنا منهم سبعين ألفاً	بقية حربهم نخب الأسار
سوى من ليس يحصى من قتيل	ومن قدغالى جولان الغبار

العرب، فقدم بهمن جاذوية جابان فسار جابان نحو أليس وهى فى منتصف الطريق بين الحيرة والأبلة

ثم انطلق بهمن الى أردشير ليعرف رأيه ويتلقى أمره فوجده مريضاً فبقى ملازماً البلاط

أما جابان فانه مضى حتى أتى أليس فنزل بها . وكان خالد قد بلغه بجمع عبد الأسود ومن معه فسار اليهم وهو لا يشعر بدنو جابان ، وترك عند الحفير فرقة قوية لحماية ظهره ، وبرز أمام الصف ونادى رؤساءهم إلى البراز فبرز له مالك بن قيس فقال له خالد « يا ابن الخبيثة ما جرأك علىّ من بينهم وليس فيك وفاء ؟ » فضربه وقتله . ونشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا قتالاً شديداً

نهر الدم

ولما وجد خالد شدة مقاومة العدو قال

« اللهم إن لك علىّ ان منحتنا أكتافهم الا أستبقى منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم »

وأخيراً لم يستطع الفرس مقاومة المسلمين ففروا منهزمين فأمر خالد مناديه فنادى فى الناس « الأسر . الأسر . لا تقتلوا إلا من امتنع »

فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم فى النهر ، فجرت الدماء فى النهر فسمى

لذلك « نهر الدم » و بعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بنى عجل الى أبى بكر ، يخبره بفتح أليس و بقدر الفيء و بعدة السبى و بما حصل من الاخماس ، و بأهل البلاد من الناس ، وأمر أبو بكر لجندل بجارية من ذلك السبى . و بلغ قتلى العدو من أليس ٧٠٠٠٠ كما ذكر ذلك الطبرى وكما جاء فى شعر أبى مقرن الأسود بن قرطبة حيث قال :

قتلنا منهم سبعين ألفــاً بقية حربهم نخب الأسار

موقعة أمغيشيا وهدمها

لمــا فرغ خالد من أليس سار إلى أمغيشيا وكانت مصراً كالحيرة فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع مافيها وقد جلا أهلها وتفرقوا فى السواد و بلغ سهم الفارس ١٥٠٠ سوى النفل الذى نفله أهل البلاد . وأرسل إلى أبى بكر بالفتح ومبلغ الغنائم . فلما بلغ ذلك أبا بكر قال « عجزت النساء أن يلدن مثل خالد » وفى رواية « عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله . أعجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد »

حصار الحيرة وتسليمها

ربيع الأول سنة ١٢ هـ — سبتمبر سنة ٦٣٣ م

سار خالد من أمغيشيا الى الحيرة ، وحمل الرجال والرحال والأثقال فى السفن ، فخرج مرزبان الحيرة « حاكمها الفارسى » ويدعى الازاذبة وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، وذلك بسد الفرات فبقيت السفن على الأرض فسار خالد فى خيل نحو ابن الأزاذبة فلقيه على فم فرات بادقلى فقتله وقتل أصحابه ، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعة حصون فأبت التسليم فحصرهم وقاتلهم المسلمون فاقتحموا الدور والديورة [1] وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان : « يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم » فنادى أهل القصور المسلمين . « قد قبلنا واحدة من ثلاث إما الاسلام أو الجزية أو المحاربة »

أما الازاذبة فانه هرب اذ بلغه موت أردشير

وهذه أسماء قصور الحيرة التى تحصنوا فيها :

(١) القصر الأبيض وفيه اياس بن قبيصة الطائى . وكان ضرار ابن الأزور محاصراً له

---

(١) ديورة جمع دير مثل بعل وبعولة

(٢) قصر الغريين وفيه عدى بن عدى . وكان ضرار بن الخطاب محاصراً له

(٣) قصر ابن مازن وفيه ابن أكال . وكان ضرار بن مقرن المزنى محاصراً له

(٤) قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة . وكان المثنى محاصراً له

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون الى خالد فكان أول من طلب الصلح ، عمرو بن عبد المسيح ، فصالحوه على ١٩٠،٠٠٠ وأهدوا له الهدايا و بقوا على دينهم . و بعث خالد بالفتح والهدايا الى أبى بكر مع الهذيل الكاهلى فقبلها أبو بكر من الجزاء ، وكتب الى خالد : ان احسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك

محاورة بين خالد بن الوليد وعمرو بن عبد المسيح

لما مثل عمرو بن عبد المسيح أمام خالد قال له خالد :

كم أتى عليك ؟

مئون من السنين

فما أعجب ما رأيت ؟

رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً [١] فتبسم خالد وقال :

هل لك من شيخك إلا عقله . خرفت والله ياعمرو . ثم أقبل على أهل الحيرة وقال : ألم يبلغنى انكم خبثة خدعة مكرة ، فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف [٢] لا يدرى من أين جاء ؟ فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله ، ويستدل به على صحة ما حدثه به فقال :

وحقك أيها الأمير انى لأعرف من أين جئت

فقال من أين جئت ؟

فقال عمرو أقرب أم أبعد ؟

ما شئت

من بطن أمى

فأين تريد ؟

أمامى

وما هو ؟

الآخرة

فمن أين أقصى أثرك

(١) أي لانها لا تعدم ما تأكله فى طريقها لقرب القرى من بعضها مع بعد المسافة بين دمشق والشام ولكرم الاهلين (٢) برجل فاسد العقل لكبر سنه

من صلب أبى

ففيم أنت ؟

فى ثيابى

أتعقل ؟

إى والله وأقيد

انما أسألك

فأنا أجيبك

أسلم أنت أم حرب ؟

بل سلم

فما هذه الحصون ؟

بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم

قتلت أرض جاهلها . وقتل أرضاً عالمها ، والقوم أعلم بما فيهم

فقال عمرو : أيها الأمير النملة أعلم بما فى بيتها من الجمل بما فى بيت النمل

خالد يتناول السم الزعاف فلا يؤثر فيه

ذكرنا كرامتين للعلاء بن الحضرمى . والآن نذكر كرامة لخالد بن الوليد ، ولم يكن أحدهما ساحراً ولا كاهناً ، بل كان كل منهما بطلا مقداماً ، فقد كان مع عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة خادم معه كيس فيه

سم ، فأخذه خالد ونثره فى يده وقال . لم تستصحب هذا . قال : خشيت أن تكون على غير مارأيت فكان أحب الىّ من مكروه أدخله على قومى . فقال خالد : لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها . وقال : « باسم الله خير الأسماء . رب الأرض ورب السماء الذى لا يضر مع اسمه داء . الرحمن الرحيم » فابتلع خالد السم . فقال عمرو . « والله يامعشر العرب لتملكن ما أردتم مادام أحد منكم هكذا [1] » لم يكن لا بتلاع السم أى تأثير فى خالد ، فلم يمرض ، ولم يمت مع أن عمرو بن عبد المسيح كان قد أعده للانتحار

وصالح خالد أهل الحيرة ، ففرضت عليهم الجزية عدا رجال الدين واشتغل المسلمون بحماية المدينة من الهجوم عليها . وكانت لعبد المسيح الذى مر ذكره ابنة تدعى كرامة فتمسك خالد بتسليمها الى شوبل ؛ لأنه كان رآها شابة فمال اليها ، فوعده النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلمها اليه ، وعلى ذلك سلمها له خالد ، فاشتد ذلك على أهل بيتها وقرابتها . فقالت لهم : اصبروا فانما هذا رجل أحمق . رآنى فى شبيبتى فظن أن الشباب يدوم ، فافتدت منه بألف درهم ، ورجعت الى أهلها

---

(١) راجع تاريخ الطبرى والكامل لابن الاثير عند ذكر فتح الحيرة

صلاة الفتح

لمـا فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن وقال :

« لقـد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يدى تسعة أسياف وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس كاهل أَلَّيس

و بعد أن احتل خالد الحيرة مكث فيها عاماً عين عمالا لجباية الخراج وأمراء للثغور ، وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ ٠٠٠ ر ٦٠ درهم جزية وهو مبلغ قليل ، لـكنه كان فى نظر العرب مبلغا عظيما

الفرس وشرب الخمر

ذكر خالد فى كتبه الى الفرس غير مرة الخمر . فما جاء فى أحـد كتبه اليهم : « ألا فقـد جئتـكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » وهذا يدل على أن الخمور كانت منتشرة عنـدهم ، وأنهم كانوا يقبلون على شربها حتى عنى خالد بذكرها

متاعب الفرس الداخلية

وفى هـذه الاثناء كانت الفرس تعانى كثيراً من المتاعب الداخلية

بعد موت ملكها أردشير ، وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه الى كسرى بن قباذ ، ولهذا اقتصر همهم على حماية المدائن عاصمة ملكهم وما جاورها الى نهر شير الذى هو فرع من نهر الفرات وكان المثنى يهدد هذه الناحية لكنه توقف عن الزحف ، لأن أبا بكر نهى عن التقدم إلا أن تحمى ظهورهم المسلمين

فتح الانبار

موقعة ذات العيون

انبـار هى فيروز سابور القديمـة . مدينة شهيرة فى العراق من ولاية بغـداد بينها و بين بغداد عشرة فراسخ ، وهى الى غربيها على الفرات قرب مخرج نهر عيسى ، وبابل فى شماليها وتبعد عنها نحو ثمانين ميلاً . قيـل سميت بالانبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتبن وأنابير جمع أنبار

سار خالد على تعبئته الى الانبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهل الانبار وخندقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم وعلى جنودهم شيرزاد صاحب ساباط وطاف خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعة (ذات العيون) وتصايح القوم « ذهبت عيون أهل الانبار » . فلما رأى ذلك شيرزاد أرسـل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فرد رسله ونحر

من إبل العسكر كل ضعيف وألقى الابل في أضيق مكان فى الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ، فاجتمع المسلمون والمشركون فى الخندق فأرسل شيرزاد الى خالد يطلب منه الصلح على ما أراد فصالحه على أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شيئاً من المتاع . وخرج شيرزاد الى بهمن جاذويه . ثم صالح خالد من حول الانبار وأهل كلواذى

فتح عين التمر [1]

لما فرغ خالد من الانبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار الى عين التمر وهى قلعة على حدود الصحراء على مسيرة ثلاثة أيام غرباً ، وبها مهران بن بهرام جُوبين فى جمع عظيم من العجم وعقة بن أبى عقة فى جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد وغيرهم ، فلما سمعوا بخالد ، قال عقة لمهران « ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالداً » قال : « صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب وانكم لمثلنا فى قتال العجم » فخدعه واتقى به وقال « ان احتجتم الينا أعناكم » فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم « انه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم . فان كانت لهم على خالد فهى لكم . وان كانت الاخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء » فاعترفوا بفضل الرأى . وسار عقة الى خالد فعبأ خالد جنده ، وبينما كان عقة يقيم صفوفه حمل عليه خالد بنفسه فاحتضنه وأخذه أسيراً كما احتضن هرمز من قبل فى موقعة ذات السلاسل . فانهزم الفرس من غير قتال

---

(١) فى معجم البلدان ، عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة يجلب منها التمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهى على طرف البرية وهى قديمة

وأكثر المسلمون فيهم الأسر فسألوه الأمان فأبى فنزلوا على حكمه ، فأخذهم أسرى وقتل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبى كل من فى الحصن وغنم مافيه ووجد فى بيعتهم [١] أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل على مذهب نسطور [٢] وكان عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم بين القواد وكان منهم أبو زياد مولى ثقيف ونصير أبو موسى بن نصير ، وأرسل الوليد بن عقبة الى أبى بكر بالخبر والاخماس

---

(١) البيعة كنيسة للنصارى

(٢) راجع مذهب نسطور فى كتاب « محمد رسول الله » للمؤلف عند ذكر إسلام النجاشى صفحة ٣٤٣ و ٣٤٤

موقعة دومة الجندل

شهر رجب سنة ١٢ هـ — سبتمبر سنة ٦٣٣م

دومة الجندل مدينة بينها و بين دمشق خمس ليال و بعدها من المدينة خمس عشرة ليلة ، وهى أقرب بلاد الشام الى المدينة و بقرب تبوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لغزوها فى ربيع الأول سنة خمس (يوليه سنة ٦٢٦ م) وكانت أول غزوات الشام [١]

كان أبو بكر قد أرسل جيشين الى الشمال وأمر على أحدهما خالداً ووجهته نحو الأبلة ثم الزحف على الحيرة ، وأمر على الثانى عياضاً ووجهته الى دومة ثم المسير الى الحيرة ، فاذا سبق أحدهما الآخر كان أميراً على الحيرة ، الا أن عياضاً الذى كانت وجهته دومة عوقه العدو مدة طويلة ولم يستطيع الانضمام الى خالد ، فلما أرسل خالد الوليد بن عقبة الى أبى بكر بخبر فتح عين التمر اهتم أبو بكر فأرسل الوليد لمساعدة عياض ، وكان خالد لما فرغ من عين التمر أتاه كتاب عياض يستمده فسار خالد اليه تاركاً القعقاع على الحيرة ، وكان بدومة رئيسان

(١) راجع كتاب « محمد رسول الله » للمؤلف صفحة ٢٦٥

أكيدر بن عبد الملك [1] والجودى بن ربيعة يساعدهما بنو كلب وقبائل أخرى من صحراء الشام

ولما سمع أكيدر بقدوم خالد تخوف وبادر بالتسليم ، إلا أن خالداً أسره وضرب عنقه ثم أخذ ما كان معه . ثم هاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة ، وأخذ الجودى أسيراً فقتله وقتل الأسرى ، وأخذ حصونهم ، وسبى الذرية والسرح فباعهم واشترى خالد ابنة الجودى ، وكانت موصوفة بالجمال وتزوجها فى ميدان القتال ، ثم رجع الى الحيرة ، وكان يريد محاربة أهل المدائن فمنعهم من ذلك كراهية مخالفة أبى بكر

---

(١) راجع بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر فى كتاب « محمد رسول الله » للمؤلف صفحة ٤٢٨ — ٤٢٩

البعوث الى العراق

شهر شعبان سنة ١٢ هـ — اكتوبر سنة ٦٣٣ م

لقد شجع غياب خالد الفرس ومن والاهم من العرب ، ولا سيما بنى تغلب على مناوشة المسلمين وطمع الأعاجم ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة الذى قتله خالد بعين التمر ، إلا أن القعقاع استطاع الدفاع عن الأنبار ، ، ولما قدم خالد خرج وعلى مقدمته الأقرع بن حابس واستخلف على الحيرة عياض بن غنم ، وهاجم الفرس على الشاطئ الشرقى للفرات فهزمهم وقتل قوادهم وهاجم البدو على الشاطئ الغربى ليلا وهم نيام فقتلهم وسبى الذرية وأرسل الغنائم الى المدينة

موقعة الفراض

انهزام الفرس والروم والبدو

شهر ذى القعدة سنة ١٢ هـ — يناير سنة ٦٣٤ م

ثم قصد خالد الى الفراض ، والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة فأفطر بها رمضان فى تلك السفرة التى اتصلت فيها الغزوات ، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت ، واستعانوا بمن يليها من مسالح أهل فارس ، واستمدوا تغلب وإياداً والنمر ، فأمدوهم وناهضوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا « اما أن تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم » قال خالد : « بل اعبروا الينا » قالوا : فتنحوا حتى نعبر فقال خالد : « لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا » فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم . هذا رجل يقاتل على دين . وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن . ثم لم ينتفعوا بذلك . فعبروا أسفل من خالد . فلما تتاموا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجىء ففعلوا واقتتلوا قتالا شديداً طويلا . ثم ان الله عز وجل هزمهم وقتل يوم الفراض فى المعركة وفى الطلب ١٠٠٫٠٠٠ كما رواه الطبرى ، وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً ، ثم أذن

بالرجوع الى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة

قال مستر موير فى كتابه « الخلافة » عند ذكر هذه الموقعة صفحة ٦١ طبعة سنة ١٩٢٤ ان هذا العدد (١٠٠ ر ٠٠٠) خرافى ويريد بذلك أنه عدد عظيم غير معقول إلا أن المؤرخين لم يذكروا عدد جيش خالد ولا عدد جيش العدو ، والذى نعلمه أن جيش العدو كان عظيما ، لأنه جيش متحد مؤلف من ثلاثة جيوش : جيش الفرس والروم والعرب الذين انضموا اليهم ، فاذا كانت الموقعة انتهت بانهزام هـذه الجيوش انهزاماً تاماً فلابد أن يكون عدد القتلى كبيراً ، فان لم يـكن مئة ألف بالضبط كما رواه الطبرى فهو يقرب من ذلك

قال القعقاع يصف موقعة الفراض :

لقينا بالفراض جموع روم ... وفرس غَمّها طولُ السلام

أبدنا جمعهم لما التقينا ... وبَيَّتنا بجمع بنى رِزام

فما فتئت جنود السلم حتى ... رأينا القوم كالغنم السَّوام

خالد يحج سراً

شهر ذى الحجة سنة ١٢ هـ — فبراير سنة ٦٣٤ م

لما أيقن خالد من انهزام العدو اشتاق الى زيارة مكة والى تأدية فريضة الحج متخفياً من غير أن يستأذن أبا بكر فأمر جيشه بالعودة الى الحيرة وتظاهر بأنه سائر فى مؤخرة الجيش ، فبدأ رحلته الى مكة ومعه عدة من أصحابه لخمس بقين من ذى القعدة ولم يكن معه دليل ، فاخترق الصحراء مسرعاً رغماً عن صعوبة الطريق

ولما أدى فريضة الحج عاد الى الحيرة فى أوائل فصل الربيع فكانت غيبته على الجند يسيرة ، فما وصلت الى الحيرة مؤخرة الجيش حتى وافاهم خالد مع صاحب الساقة فقدما معاً ، وخالد وأصحابه محلقون ، وقد كان تكتمه شديداً حتى انهم ظنوا أنه كان فى هذه المدة بالفراض ولم يعلم أبو بكر بحج خالد مع أنه كان فى الحج أيضاً ، غير أنه بعد قليل بلغه الخبر فاستاء جداً وعتب عليه ، وكانت عقوبته أن صرفه الى الشام ليمد جموع المسلمين باليرموك فأرسل اليه كتاباً هذا نصه :

« سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا [1]

---

(١) شجى الرجل يشجى . حزن ، وشجاه الهم يشجوه شجوا من باب قتل اذا أحزنه

وأشجوا وإياك أن تعود لمثل ما فعلت فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك أن تدل بعمل فان الله له المن وهو ولىّ الجزاء »

* * *

وفى هذه السنة «سنة ١٢ هـ» تزوج عمر رضى الله عنه عاتكة بنت زيد وفيها مات أبو مرثد الغنوى وهو أبو مرثد كناز بن الحصين الذى حمل اللواء فى بعث حمزة وكان أول لواء عقده رسول الله [١] وفيها مات أبو العاص بن الربيع فى ذى الحجة وكان من الاسرى يوم بدر ثم أسلم وهو زوج زينب بنت رسول الله ، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضى الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين ، وأوصى الى الزبير ، وتزوج على عليه السلام ابنته امامة بنت زينب بنت رسول الله ، وفيها اشترى عمر أسلم مولاه وحج بالناس فى هـذه السنة أبو بكر واستخلف على المدينة عثمان بن عفان كما ذكر ذلك الواقدى

---

(١) راجع بعث حمزة فى كتاب « محمد رسول الله » للمؤلف صفحه ١٩٣

غزو الشام

سنة ١٢ ـ ١٣ هـ — ٦٣٣ ـ ٦٣٤ م

بعـد أن عاد أبو بكر من الحج وجه الجنود الى الشام تحت قيادة خالد بن سعيد بن العاص وكان أول لواء عقده الى الشام وهو من الذين أسلموا قديماً وهاجر الى الحبشة ، الا أن أبا بكر عزله قبل أن يسير ، وكان سبب عزله أنه تأخر عن بيعة أبي بكر شهرين ولقى عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال يا أبا الحسن . يابنى عبـد مناف ، أغلبتم عليها ؟ » فقال عليّ : « أمغالبة ترى أم خلافة »

فأما أبو بكر فلم يحقدها عليه ، وأما عمر فاضطغنها عليه ، فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الامارة وجعله ردءاً للمسلمين بتيماء [1] (جنوب شرقى تبوك) وأمره أن لايفـارقها الا بأمره وأن

---

(١) تيماء بلد فى أطرف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حج الشام ودمشق . والأبلق الفرد حصن السموأل بن عاديا مشرف عليه فلذلك كان يقال لها تيماء اليهودى . قال بعض العرب يذكر تيماء :

الى الله أشكو لا الى الناس اننى ... بتيماء تيماء اليهود غريب
وانى بتهباب الرياح موكل ... طروب اذا هبت على جنوب
وان هب علوى الرياح وجدتنى ... كأنى لعـلوى الرياح نسيب

يدعو من حوله من العرب الا من ارتد وأن لا يقاتل الا من قاتله ، فاجتمع اليه جموع كثيرة من الروم لسلب جماله ، وعلى ذلك أمره أبو بكر بالاقدام بحيث لا يؤتى من خلفه ، فتقدم شمالا نحو البحر الميت فسار اليه بطريق الروم ويدعى « باهان » ولما وجد أنه تقدم كثيراً كتب الى أبى بكر يستمده

وكان قد قدم الى أبى بكر بالمدينة جيوش المسلمين من اليمن بعد أن هزموا المرتدين ، وكانوا على استعداد للحرب فى جهات أخرى ، فأرسل أبو بكر عكرمة بن أبى جهل والوليد بن عقبة لامداد خالد فى الشمال

أسرع خالد بن سعيد فى أوائل فصل الربيع للغزو ناسياً ما أمره به أبو بكر من عدم الزحف فوقع فى شرك باهان جهة دمشق ، وكان قد وصل الى مرج الصفر شرقى بحيرة طبرية فأطبق عليه العدو من الخلف ومنعه من التقهقر ، وقتل ابنه سعيد فى المعركة وفر خالد بفلول جيشه الى المدينة و بقى عكرمة ردءاً للجيش بدل خالد ، فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه وأقام من الشام على قرب

ثم أمر أبو بكر يزيد بن أبى سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه ، فيهم سهيل بن عمرو فى أمثاله من أهل مكة وشيعه ماشياً وأوصاه وغيره من الامراء

وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان

كان مما قاله أبو بكر ليزيد :

« انى قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك ، وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك ، وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد فاياك وعُبِّيَّةَ الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها ، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لاوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا ترينهم فيروا خيلك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك ، واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك ، واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عنك الأستار ، وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط ، واعقب بينهم بالليل

واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف عن عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعاً ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسدهم ، ولا تجسس عليها فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العبائين وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول (الخيانة فى المغنم) فانه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له [1] »

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولاة الأمر فانه ذكر فيها واجبات القائد نحو جنده ، ونحو عدوه ، ومنع من تعرض القائد للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع احتراماً لدينهم

وقد انقسم الجيش الى ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ٥٠٠٠ مقاتل ، وأمر على اثنين منهما شرحبيل بن حسنة الذى كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلى أبى بكر ، وعلى الثالث عمرو بن العاص ، وعين لكل جيش وجهته فى الشام فوجه عمراً الى أيلة على رأس خليج العقبة [1] ومن ثم لغزو جنوب الشام أو فلسطين ، ووجه يزيد

(١) راجع « الكامل » لابن الأثير الجزء الثانى عند ذكر فتوح الشام

(٢) أيلة مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوه فسخوا قردة وخنازير

وشرحبيل الى تبوك ، ثم غزوا أواسط الشام . وحمل معاوية بن أبى سفيان لواء أخيه يزيد وانضم خالد بن سعيد متطوعا الى جيش شرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة فى شهر صفر سنة ١٣ هـ ـ ابريل سنة ٦٣٤ م ثم لما وصلت الجيوش الأخرى الى المدينة أرسلهم أبو بكر لامداد جيوش الشام ، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وعلى ذلك كان عدد الجيوش التى أرسلت أربعة ، وكان أبو عبيدة أميراً عليهم جميعاً ، و بلغ عدد الجيش الزاحف ٢٤٠٠٠ بما فى ذلك جيش عكرمة . وخرج نحو ألف من الصحابة فى جيش الشام ، ومن بينهم ١٠٠ ممن شهدوا موقعة بدر بخلاف جيش العراق فان المهاجرين لم يقاتلوا فيه

سار أبو عبيدة على باب من البلقاء [1] فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح فى الشام

الظروف الملائمة لفتح الشام

كان امبراطور الروم يبعث الى القبائل العربية فى جنوبى فلسطين اعانة مالية سنوية ، غير أنه اضطر بسبب ما أنفقه على الجيش فى محاربة الفرس الى قطع الاعانة عنهم مراعياً فى ذلك الاقتصاد فى النفقات وعلى

---

(١) البلقاء مدينة من أعمال دمشق ووادى القرى وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل

ذلك اعتبرت هذه القبائل أنفسها أحراراً غير مقيدين بمحالفتهم الروم فانضموا إلى المسلمين . ثم ان أهل الشام أيضاً أرهقتهم زيادة الضرائب فضلا عما كانوا يلاقونه من الاضطهادات الدينية ، ولذلك لم يحركوا ساكناً ، وقد كانوا يفضلون حكم العرب لحسن معاملتهم وعدلهم فى أحكامهم كل هذه كانت ظروفا ملائمة للمسلمين المهاجمين

استعداد هرقل

وصل أمراء المسلمين الى الشام فأخذ عمرو طريق المعرقة [١] ونزل بالعربة وهى واد بين البحر الميت وخليج العقبة ، ونزل أبو عبيدة الجابية [٢] ونزل يزيد البلقاء ، ونزل شرحبيل الأردن وقيل بصرى . فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل ، وكان بالقدس فقال : « أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقوا لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم » فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر ، وأراد اشغال كل طائفة من المسلمين

---

(١) المعرقة هى الطريق التى كانت قريش تسلكها اذا أرادت الشام

(٢) الجابية أصلها فى اللغة الحوض الذى يجبى فيه الماء للابل وهى قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر فى شمال حوران

بطائفة من جنوده لكثرة عسكره لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بازائها ، فأرسل الى عمرو أخاه تذارق [١] لأبيه وأمه فخرج نحوهم فى ٩٠٫٠٠٠ و بعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جِلّق بأعلى فلسطين . و بعث جرجة بن تودرا نحو يزيد بن أبى سفيان فعسكر بازائه و بعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة . و بعث الفيقار بن نسطوس فى ٦٠٫٠٠٠ نحو أبى عبيدة فهابهم المسلمون ، وكاتبوا عمراً أن ما الرأى فأجابهم : ان الرأى لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة ، فان تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها لكثرة عدونا . وكتبوا الى أبى بكر فأجابهم مثل جواب عمرو . وقال « ان مثلكم لا يؤتى من قلة انما يؤتى العشرة آلاف اذا أتوا من تلقاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه »

وكان جميع فرق المسلمين ٢١٫٠٠٠ سوى عكرمة فى ٦٠٠٠ ، و بلغ ذلك هرقل فكتب الى بطارقته أن اجتمعوا لهم . واجتمع المسلمون باليرموك كما أمرهم أبو بكر ، واجتمع الروم هناك أيضاً وعليهم التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبتيه الدراقص و باهان ، ولم يكن قد وصل بعد اليهم وعلى الحرب الفيقار ، فنزلوا الواقوصة وهى على ضفة اليرموك وصار الوادى خندقاً لهم . وانما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم

(١) تذارق وهو تيودور (Thoedore)

ويأنسوا بالمسلمين ، وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذى اجتمعوا به فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم ، وليس للروم طريق إلا عليهم . فقال عمرو « أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير » وأقاموا صفراً وشهرى ربيع لا يقدرون منهم على شىء من الوادى والخندق ؛ ولا يخرج عليهم الروم إلا ردهم المسلمون . وكان قتال المسلمين لهم على تساند كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد من العراق ؛ وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم

مسير خالد بن الوليد

من العراق الى الشام وموقعة اليرموك

كان اهتمام أبى بكر الصديق بغزو الشام أشد من اهتمامه بالعراق . لذلك عول على استدعاء خالد بن الوليد وأمره بالمسير وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ، ووعده بأنه اذا انتصر فى الشام أعاده إلى العراق . ثم بدأ خالد يختار جيشه فاستأثر خالد بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على المثنى ، وترك للمثنى عددهم من أهل القناعة ممن ليس له صحبة . ثم قسم الجند نصفين ، فقال المثنى : « والله لا اقيم الا على انفاذ أمر أبى بكر و بالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » . فلما رأى خالد ذلك أرضاه . فكان عدد الجيش الذى خرج معه ٩٠٠٠ وصاحبه المثنى الى حدود الصحراء ليودعه

سار خالد بجيشه فلما وصل الى قراقر وهو ماء لكلب أغار على أهلهاوأراد أن يسير عنهم مفوزاً [1] الى سوى وهو ماءلبهراء . ثم أتى أراك

---

(١) فاز قطع المفازة والمفازة الموضع المهلك مأخوذةمن فوز بالتشديد اذا مات لأنها مظنة الموت

فصالحوه ثم أتى تدمر [١] ففتحها صلحاً ، ذلك انه لما مر بها فى طريقه تحصن أهلها منه فأحاط بهم من كل وجه فلم يقْدر عليهم . ولما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل . قال :

« يا أهل تدمر والله لو كنتم فى السحاب لا ستنز لنا كم ولأظهرنا الله عليكم ، ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعن اليكم اذا انصرفت من وجهى هذا ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم »

فلما ارتحل عنهم بعثوا اليه وصالحوه على ما أدوه له ورضى به . ثم أتى خالد القريتين [٢] فقاتلهم فظفر بهم ، وغنم وأتى حوارين . فقاتل أهلها وهزمهم وقتل وسبى وأتى قُصم — وهى موضع بالبادية قرب الشام من نواحى العراق — فصالحه مشجعة من قضاعة وسار فوصل ثنية العقاب — وهى ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق الى حمص — ناشراً رايته العقاب وهى راية سوداء . ثم سار فأتى مرج

(١) تدمر مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام

(٢) القريتان قرية كبيرة من أعمال حمص فى طريق البرية . قال أبو حذيفة فى فتوح الشام « وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه من تدمر الى القريتين وهى التى تدعى حوارين وبينها وبين تدمر مرحلتان » غير أن حوارين قرية أخرى غير القريتين

راهط (١) فأغار على غسان فى يوم فصحهم (٢) فقاتل وأرسل سرية الى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وساقوا العيال الى خالد ثم صار حتى وصل بصرى فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم ، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق ، و بعث بالأخماس الى أبى بكر ، ثم سار فطلع على المسلمين فى ربيع الآخر باليرموك ، فوجدهم يقاتلون الروم متساندين كل أمير على جيش . أبو عبيدة على جيش ، و يزيد بن أبى سفيان على جيش ، وشرحبيل بن حسنة على جيش ، وعمرو بن العاص على جيش . فقال خالد :

« ان هـذا اليوم من أيام الله ، لاينبغى فيه الفخر ، ولا البغى فأخلصوا لله جهادكم ، وتوجهوا لله تعالى بعملكم ، فان هـذا يوم له ما بعده ؛ وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم و بين هـذا . فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه هو الرأى من واليكم »

قالوا فما الرأى ؟ قال ان الذى أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم وأنفع للمشركين من امدادهم . ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم . والله فهلموا فلنتعاور (٣) الامارة . فليكن علينا بعضنا اليوم ؛ و بعضنا

---

(١) مرج راهط بنواحى دمشق وهو أشهر المروج فى الشعر فاذا ذكر مرج فى الشعر فاياه يعنى (٢) فصح النصارى مثل الفطر وزنا ومعنى وهو الذى يأكلون فيه اللحم بعد الصيام وهو عيد لهم مثل عيد المسلمين (٣) أى تتداول

غداً ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ؛ ودعونى اليوم عليكم .
قالوا : نعم . فأمروه فكان الفتح على يد خالد . وجاء البريد[1] يومئذ
بموت أبى بكر ؛ وخلافة عمر ؛ وتأمير أبى عبيدة على الشام كله ؛ وعزل
خالد . فأخذ الكتاب منه وتركه فى كنانته ؛ ووكل به من يمنعه أن
يخبر الناس بالأمر لئلا يضعفوا الى أن هزم الله العدو ؛ وقتل منهم نحو
١٠٠ر٠٠٠ ؛ ثم دخل على أبى عبيدة و سلم عليه بالامارة

التحام الجيشين وانتصار المسلمين

كان عدد جيش المسلمين كما يأتى :

٢١٠٠٠ عدد جيش الامراء الأربعة

٦٠٠٠ جيش عكرمة بن أبى جهل

٩٠٠٠ جيش خالد بن الوليد

٣٠٠٠ فلول جيش خالد بن سعيد

٣٩٠٠٠ مجموع جيش المسلمين وقيل ٤٠٠٠٠

(١) البريد الرسول وكان اسمه محمية بن زنيم

جيش الروم :

٨٠٫٠٠٠ مقيد

٤٠٫٠٠٠ مسلسل للموت

٤٠٫٠٠٠ مربوطون بالعمائم لئلا يفروا

٨٠٫٠٠٠ راجل

٢٤٠٫٠٠٠

ولم يعرف عدد الفرسان فى الجيشين

* * *

عبأ خالد جيشه وقسمه إلى أربعين كُرْدُوساً[١] وجعل على كل كُرْدوس رجلا من الشجعان وجعله على ثلاث فرق قلب وميمنة وميسرة :

(١) أبو عبيدة على كراديس القلب

(٢) عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على كراديس الميمنة

(٣) يزيد بن أبى سفيان على كراديس الميسرة

(١) الكردوس الخيل العظيمة وقيل القطعة من الخيل العظيمة والكراديس الفرق منهم ويقال كردس القائد خيله أى جعلها كتيبة كتيبة

وجعل على الطلائع قباث بن أشيم [١] وعلى الاقباض [٢] عبد الله ابن مسعود

وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول :

« الله . الله . انكم ذادة العرب وأنصار الاسلام . وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هذا يوم من أيامك . اللهم أنزل نصرك على عبادك »

---

(١) قباث بن أشيم سكن دمشق وشهد بدراً وعقل مجيء الفيل الى مكة . سأله عبد الله بن مروان « أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال : « بل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه » فانظر أيها القارىء الى أدب قباث وحسن جوابه

وكان سبب اسلامه أن رجالا من قومه أتوه فقالوا ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد خرج يدعو الناس الى دين غير ديننا فقام قباث حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه ، قال اجلس ياقباث أنت الذي قلت ــ لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمداً وأصحابه ــ قال قباث والذى بعثك بالحق ما تحرك به لسانى ولا ترمرمت به شفتاى ولا سمعته أذناى وما هو الا شيء هجس فى نفسى . أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله وأن ماجئت به حق (أسد الغابة)

فقد اعلم رسول الله بما هجس بنفس قباث ولم ينطق به فكان ذلك سبب إسلامة وهذا موضع يطول بنا شرحه فليتدبره القارىء

(٢) على الاقباض أى على الغنائم لأن القبض ما جمع من الغنائم

وقال رجل لخالد : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين »

فقال خالد : « ما أقل الروم وأكثر المسلمين . إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال . والله لوددت أن الأشقر (فرسه) براء من توجّيه وأنهم أضعفوا فى العدد » وكان فرسه قد حفى فى مسيره .

ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتى القلب فأنشبا القتال وارتجز القعقاع وقال :

يا ليتنى ألقاك فى اطراد ... قبل اعترام الجحفل الورّاد

وأنت فى حَلبتك الوراد

وقال عكرمة :

قد علمت بَهْنكة الجوارى ... أنى على مَكْرمة أحامى

فنشب القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، ثم أتى البريد كما ذكرنا .

إسلام جرجة

ثم خرج (جَرَجة) حتى كان بين الصفين ، ونادى ليخرج إلىّ خالد فخرج إليه خالد ، وأقام أبا عبيدة مكانه فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، وقد أمّن أحدهما صاحبه . فقال جرجة :

« ياخالد اصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى

فان الكريم لا يخادع ، أنشدك بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه ، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟ » .

قال : « لا »

قال : فبم سميت سيف الله ؟

— إن الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه ، ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، و بعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه و باعده وقاتله ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين

— صدقتنى

ثم أعاد عليه جرجة :

ياخالد : أخبرنى إلام تدعونى

— إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله .

— فمن لم يجبكم ؟

— فالجزية ونمنعه

— فان لم يعطها ؟

— نؤذنه بحرب ثم نقاتله

— فما منزلة الذى يدخل فيكم و يجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟

— منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ، ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جرجة :

هل لمن دخل فيكم اليوم ياخالد مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟

— نعم وأفضل

— كيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

— إنا دخلنا فى هذا الأمر و بايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، و يخبرنا بالكتب ، و يرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم و يبايع ، وانكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

— بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تؤلفنى

— بالله لقد صدقتك ومابى إليك ، ولا إلى أحد منكم وحشة و إلى لولى ما سألت عنه .

— صدقتنى

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد . وقال : علمنى الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه على خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل على

المسلمين ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم ، فركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا ، وتراجعت الروم على مواقفهم .

استمرار القتال

زحف خالد حتى تصافح الجيشان بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجرجة من ارتفاع النهار إلى الغروب ، ثم أصيب جرجة ، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى الناس الأولى والعصر إيماء وتضعضع الروم ، ونهض خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، ففر الفرسان إلى الصحراء ، و بقى المشاة ؛ فاقتحم المسلمون خندقهم فهوى فيها المقترنون بالسلاسل والعمائم وغيرهم ، وقتلوا وقتل الفيقار وأشراف الروم ، وكان عدد من تهافت فى الخندق ١٢٠٫٠٠٠ منهم ٨٠٫٠٠٠ مقترن و ٤٠٫٠٠٠ مطلق سوى من قتل فى المعركة من الفرسان والمشاة .

ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها قريباً وجعلها بينه و بين المسلمين ، وأمّر عليها أميراً كما أمر على دمشق

قتلى المسلمين

أصيب من المسلمين ٣٠٠٠ منهم :

عكرمة وابنه عمرو . سلمة بن هشام . عمرو بن سعيد . أبان بن سعيد وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد . جندب بن عمرو . الطفيل بن عمرو . طايب بن عمير . هشام بن العاص . عياش بن أبى ربيعة سعيد بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى . نعيم بن عبد الله النحام العدوى . النصير بن الحارث بن علقمة . أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدرى . وأصيبت عين أبى سفيان بن حرب فى الموقعة فأخرج السهم من عينه أبو حثمة وقد قاتل النساء ومنهن جُوَيْرِية ابنة أبى سفيان .

وقال خالد يومئذ :

« الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان أحب إلىّ من عمر والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر ثم ألزمنى حبه »

وكان عمر ساخطاً على خالد فى خلافة أبى بكر كلها لوقعته بابن نويرة الذى كان صديقاً لعمرو وما كان يعمل فى حربه ، ولذا كان أول عمله عزل خالد . وقال لا يلى لى عملاً أبداً . ثم إن عمر رضى الله عنه لما رأى انتصارات خالد الباهرة وانقياد المسلمين له فى جميع الوقائع واستماتتهم بين يديه خشى أن يفتتن الناس به وربما تحدثه نفسه فيشق عصا المسلمين وروى أن عمر استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد . فقال له عمر : (ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس) .

المثنى بالعراق

بعد رحيل خالد بن الوليد

النصف الأول من سنة ١٣ هـ (مارس ـ أغسطس سنة ٦٣٤ م)

لم يكن خالد بن الوليد مطمئناً على حالة العراق بعد أن نقص عدد الجيش فأرسل المرضى والنساء والأطفال إلى بلادهم . و بذل المثنى ما فى وسعه بعد رحيل خالد عنه لتقوية ما بينه و بين الفرس من جهة العاصمة وقد تولى أمر الفرس بعد مسير خالد بقليل شهر براز بن أردشير بن شهريار سابور ففكر فى طرد المسلمين فجند جيشاً قوياً مؤلفاً من ١٠٫٠٠٠ مقاتل تحت قيادة هرمز جاذويه وخرج المثنى من الحيرة نحوه وكان عدد جيشه أقل كثيراً من جيش الفرس وعلى مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فأقام ببابل وأقبل هرمز نحوه .

ولما كان ملك الفرس واثقاً من النصر ، أرسل إلى المثنى كتاباً قبيحاً قال فيه :

« إنى بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم »

فكتب إليه المثنى :

« إنما أنت أحد رجلين ، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، و إما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند الله وعند الناس الملوك . وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم إنما اضطررتم إليهم فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير » .

موقعة بابل

صيف سنة ١٣ هـ — سنة ٦٣٤ م

و بعد أن أرسل المثنى هـذا الرد إلى شهر براز زحف للقاء هرمز ببابل تاركاً بالحيرة قوة صغيرة فاقتتلوا قتالاً شـديداً وكان على جيش الفرس فيل كبير يفرق جموع المسلمين فأحاط به المثنى ومعه ناس وتمكنوا من قتله . فانهزم الفرس وتبعهم جيش المثنى إلى أبواب المدائن (عاصمة الفرس) يقتلونهم . وفى ذلك يقول عبـدة بن الطبيب السعدى وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ، فلما آيسته رجع إلى البادية فقال من قصيدة له :

هل حبل خولة بعد البين موصول — أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

وللأحبـــــة أيامٌ تَذَكّرُها — وللنوى قبل يوم البين تأويل

حَلّتْ خوَيْلَةَ فى حىّ عَهِدْتُهمُ — دون المدائن فيها الديكُ والفيلُ

يقارعون رءوس العُجْمِ ضاحيةً — منهم فوارسُ لا عُزلٌ ولا ميلُ

وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنى وقتله الفيل :

و بيْتُ المثنى قاتل الفيل عَنْوةً — ببابلَ إذ فى فارسٍ مُلْكُ بابل

المثنى يطلب النجدة من أبى بكر

لما انهزم هرمز جاذويه قتل الجند ملكهم شهر براز[1] واختلف أهل فارس و بقى ما دون دجلة بيد المثنى فاضطر أن يحمى حدوداً شاسعة لم تكن جنوده تكفى لحمايتها . ثم اجتمعت الفرس على ابنة كسرى واسمها « دخت زنان » لكنها ما لبثت أن خلعت وتولى الملك سابور بن شهر براز إلا أنه قتل وملكت « أزرميدخت »[2] ، وهذا الخلاف والغدر أديا إلى اضعاف السلطة الحاكمة فى فارس ولم يكن هناك ما يخشاه المثنى كثيراً ولكنه على كل حال كان فى حاجة إلى حماية الحدود كما قلنا . فكتب إلى أبى بكر يستمده و يستأذنه فى الاستعانة بمن حسنت تو بته من المرتدين لأنهم أنشط فى القتال من غيرهم . فلما أبطأ خبر أبى بكر على المثنى استخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وسار إلى المدينة إلى أبى بكر فلما قدم المدينة وجد أبا بكر مريضاً فاستدعى أبو بكر عمر وقال له :

« إنى لأرجو أن أموت يومى هذا (وذلك يوم الاثنين) و إذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا يشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم وقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) Shahra - Baraz 2 Azarmi - Dukht

وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله . وبالله لو أنّى أنى عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا فاضطرمت المدينة ناراً ، وإذا فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الدراوة بهم والجراءة عليهم »

وقال عمر متأثراً برقة كلام أبى بكر وهو على فراش الموت : « قد علم أبو بكر أنه يسوءنى أن أؤمر خالداً فلهذا أمرنى أن أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم »

ومات أبو بكر ليلاً فدفنه عمر ودعا الناس مع المثنى

وفاة أبي بكر الصديق

رضى الله عنه

٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ (٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤ م)

توفى أبو بكر رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان قد سمه اليهود فى أرز وقيل فى حريرة وهى الحساء فأكل هو والحارث ابن كلدة وقال لأبى بكر أكلنا طعاماً مسموماً سم سنة فماتا بعده بسنة وقيل إنه اغتسل وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة فأمر عمر أن يصلى بالناس [١] .

ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب ؟ فقال أتانى وقال لى أنا فاعل ما أريد ، فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات .

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن [٢] وأن يكفن فى ثوبيه ويشترى معهما ثوب ثالث . وقال الحى أحوج إلى الجديد من الميت

---

(١) اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة عن عبد الرحمن بن أبى بكر

(٢) وفى نزهة النواظر أن الذى غسله على رضى الله عنه وهذا غير ثابت والصواب أن أسماء زوجته هى التى غسلته .

إنما هو للمهلة والصديد . غسلت أبا بكر زوجته أسماء ثم خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين فقالت إنى صائمة وهذا يوم شديد البرد فهل علىّ غسل ؟ قالوا لا[١] . وقد روى أنه اغتسل فى يوم بارد فمن ذلك يتبين أن الجو كان بارداً فى هذه الأيام فانه حم بسبب استحمامه فى يوم بارد كذلك غسل فى يوم بارد لذلك نرجح أن سبب وفاته كان تأثره بالبرد لا بسبب السم الذى قيل إن اليهود دسوه له فى الحساء لأن حادثة السم المزعومة كانت قبل وفاته بسنة . ودفن ليلة وفاته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكبّر عليه أربعاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والمنبر ، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفى النبى صلى الله عليه وسلم وألصقوا لحده بلحد النبى صلى الله عليه وسلم وجعل قبره مثل قبره مسطحاً وناحت عليه عائشة والنساء فنهاهن عن البكاء عمر فأبين فقال لهشام بن الوليد ادخل فأخرج إلىّ ابنة أبى قحافة . فأخرج إليه أم فروة ابنة أبى قحافة أخت أبى بكر فعلاها بالدرة (السوط) ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك . وكان آخر ما تكلم به « توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » وكانت عائشة رضى الله عنها تمرضه .

---

(١) راجع طبقات ابن سعد « أبو بكر »

أبو بكر يستشير أصحابه فى عمر

عقد أبو بكر فى مرضه الذى توفى فيه لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده ، ولما أراد العقد له دعا عبد الرحمن بن عوف . فقال : أخبرنى عن عمر . فقال يا خليفة رسول الله : هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . و يا أبا محمد قد رمّقته فرأيتنى إذا غضبت على الرجل فى الشىء ، أرانى الرضا عنه ، و إذا لنت له أرانى الشدة عليه . لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً . قال : نعم .

ثم دعا عثمان بن عفان . فقال : يا أبا عبد الله أخبرنى عن عمر . قال: أنت أخبر به . فقال أبو بكر : علىَّ ذلك يا أبا عبد الرحمن . قال : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله .

قال أبو بكر : يا أبا عبد الله لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً . قال : أفعل . فقال أبو بكر : لو تركته ما عدوتك وما أدرى لعله تاركه ، والخيرة له ألا يلى من أموركم شيئاً ولوددت أنى كنت خلواً من أموركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم . يا أبا عبد الله لا تذكرن مما قلت لك من أمر عمر ، ولا مما دعوتك له شيئاً .

ودخل على أبى بكر طلحة بن عبيد الله . فقال : استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ، وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك . فقال أبو بكر :

وكان مضطجعاً أجلسونى . فأجلسوه . فقال لطلحة : « أبالله تفرقنى أو بالله تخوفنى ، إذا لقيت الله ربى فسائلنى قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك .

وأشرف أبو بكر على الناس من حظيرته وأسماء ابنة عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول :

« أترضون بمن أستخلف عليكم فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابة ، وإنى قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا » فقالوا : « سمعنا وأطعنا »

قال الواقدى : دعا أبو بكر عثمان خالياً . فقال له اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين . أما بعد » ثم أغمى عليه فذهب عنه . فكتب عثمان : « أما بعد فإنى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً » ثم أفاق أبو بكر فقال : « اقرأ علىّ » فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال :

« أراك خفت أن يختلف الناس إن مت فى غشيتى » . قال : نعم . قال : « جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله » وأقرها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع . فأبو بكر كان يرى ويعتقد أن عمر بن الخطاب خير من يتولى الخلافة بعده مع شدته والحقيقة أنه كان كذلك .

وصية أبي بكر

لعمر بن الخطاب

ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له :

« انى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وأوصاه بتقوى الله ثم قال :

« ياعمر إن لله حقاً بالليـل ولا يقبله فى النهار وحقاً فى النهار ولا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . ألم تر ياعمر إنمـا ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلا . ألم تر ياعمر إنما خفّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . ألم تر ياعمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرخاء . ليـكون المؤمن راغباً راهباً ، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقى فيهـا بيديه . ألم تر ياعمر انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم . فإذا ذكرتهم قلت إنى لا أرجو ألا أكون منهم وانه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من

سيء فإذا ذكرتهم قلت أين عملى من أعمالهم فإذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه »

خطبة على فى تأبين أبى بكر

لما سمع على رضى الله عنه خبر وفاة أبى بكر جاء باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول :

رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاماً ، وأخلقهم إيماناً وأشدهم يقيناً ، وأعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الاسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقاً ، وفضلاً ، وهدياً ، وصمتاً ، فجزاك الله عن الإسلام ، وعن رسول الله ، وعن المسلمين خيراً ، صدّقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسماك الله فى كتابه صديقا . فقال : (والذى جاء بالصدق وصدق به) يريد محمداً ويريدك كنت والله للاسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً فى بدنك ، قويا فى دينك ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض ، كبيراً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك

خطبة ابنته عائشة فى تأبينه

نضّر الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأكبر الأحداث بعده فقدك ، إن كتاب الله عز وجلّ ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض، وأنا منتجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة كثرة الاستغفار لك ، فسلم الله عليك توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك

اعتراف أبى بكر

قال أبو بكر : إنى لا آسى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت لو أنى تركتهن . وثلاث تركتهن وددت أنى فعلتهن . وثلاث وددت أنى سألت عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما الثلاث اللاتى وددت أنى تركتهن فوددت أنى لم أكشف بيت فاطمة عن شىء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ، ووددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة السلمى[1] وإنى كنت قتلته سريحاً أو خليته

---

(١) واسمه إياس بن عبد ياليل والسبب الذى دعا أبا بكر إلى حرقه هو أنه جاء إليه فقال أعنى بالسلاح أقاتل به أهل الردة فأعطاه سلاحاً وأمره إمرة فخالف إلى المسلمين وخرج حتى نزل بالجواء وبعث ابن أبى الميثاء من بنى الشريد وأمره بالمسلمين =

نجيحاً . وددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قد قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين (يريد عمر وأبا عبيدة) فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

أما اللاتى تركتهن فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه فانه تخيل إلى أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه . ووددت أنى حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا و إن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد أو وددت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكنت بسطت يدىّ كلتيهما فى سبيل الله. ومد يديه .

وددت أنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد ، ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيبٌ ، ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فان فى نفسى منهما شيئاً .

= فشن الغارة على كل مسلم فى سليم وعامر وهوازن فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلى طريفة بن حاجز فأمره أن يجمع له ويسير إليه وبعث إليه عبد الله بن قيس الحاشى عونا فنهضا إليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا وقتل نخبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلى أبى بكر فلما قدم أمر أبو بكر أن توقد له نار فى مصلى المدينة ثم رمى به مقموطا . فهذا الذى ندم أبو بكر على حرقه وود لو قتله أو خلى سبيله .

عمل أبى بكر ومنزله مدة خلافته

كان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجراً وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة (والسنح من ضواحى المدينة) ثم تحول إلى المدينة بعدما بويع له بستة أشهر وكان يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس وعليه إزار ورداء ممشق فيوافى المدينة، فيصلى الصلوات بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، فكان إذا حضر صلى بالناس وإذا لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب، فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر الجمعة فيجمع الناس. وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى «الآن لا تحلب لنا منائح دارنا» فسمعها أبو بكر فقال: «بلى لعمرى لأحلبنها لكم وإنى لأرجو أن لا يغيرنى مادخلت فيه من خلق كنت عليه» فكان يحلب لهم.

ثم نظر أبو بكر فى أمره فقال: «لا والله ما تصلح أمور الناس التجارة، وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم ولا بد لعيالى مما يصلحهم» فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم ويحج ويعتمر؛ وكان الذى فرضوا له فى كل سنة ٦٠٠٠ درهم فلما حضرته الوفاة. قال: «ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإنى

لا أصيب من هـذا المال شيئاً . وإن أرضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم » فدفع ذلك إلى عمر ودفع إليـه بعيراً وعبداً وقطيفة ما تساوى خمسة دراهم . فقال عمر : « لقـد أتعب من بعده » .

وحسبوا ما أنفقه على أهله من بيت المال فوجدوه ٨٠٠٠ درهم فى ولايته . وكان يوزع الصدقات على الفقراء وعلى تجهيز الجيوش . كذلك كان يوزع غنائم الحرب على الناس حال وصولها أو فى صباح اليوم التالى ولم يكن له حراس يحرسونه وكان يستشير عمر بن الخطاب .

بيت مال المسلمين

كان لأبى بكر الصديق بيت مال بالسنح معروف ليس يحرسه أحد فقيل له يا خليفة رسول الله : ألا تجعل على بيت المال من يحرسه ؟ فقال لا يخاف عليه . فقيل له لم ؟ قال عليه قفل . وكان يعطى ما فيـه حتى لا يبقى فيه شىء . فلما تحول أبو بكر إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله فى الدار التى كان فيها وكان يسوى بين النـاس فى القسم الحر ، والعبد ، والذكر ، والأنثى ، والصغير ، والـكبير فيه سواء .

ولما توفى ودفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت المال ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهما فرحموا على أبى بكر . وكان بالمدينة وزان

على عهد رسول الله وكان يزن ما كان عند أبى بكر من مال فسئل الوزان كم بلغ ذلك المال الذى ورد على أبى بكر . فقال : مائتى ألف .

حج أبى بكر

استعمل أبو بكر على الحج سنة ١١ هـ عمر بن الخطاب ، ثم اعتمر أبو بكر فى رجب سنة ١٢ هـ ، ثم رجع إلى المدينة . فلما كان وقت الحج سنة ١٢ هـ حج أبو بكر بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

جمع القرآن

كان أبو بكر الصديق أعلم الصحابة بالقرآن ، لأن رسول الله قدمه إماماً للصلاة بالصحابة مع قوله : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » وقال: « لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره » .

ولما رأى كثرة من قتل من كبار الصحابة باليمامة أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال ، وجريد النخل والجلود ، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

جاء فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت قال : « أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر . فقال : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه ، وإنى لأرى أن يجمع القرآن . قال أبو بكر : فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال أبو بكر : إنك شاب

---

(١) جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار : أبى كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ـ رواه البخارى .

عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل على مما كلفنى به من جمع القرآن . فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح صدر أبى بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها . فكانت الصحف التى فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها » .

قضاته وكتابه وعماله

لما ولى أبو بكر . قال أبو عبيدة : أنا أكفيك بيت المال . وقال له عمر : أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان .

وكان يكتب له علىّ بن أبى طالب ، وزيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان ، فإن غابوا كان يكتب له من حضر .

وكان عامله على مكة (عتّاب بن أسـيد) : وقد أسلم عتاب يوم الفتح ، واستعمله رسول الله على مكة حين انصرف عنه بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون سـنة . قيل إنه توفى فى اليوم الذى توفى فيه أبو بكر . وكان رجلاً صالحاً فاضلا .

وكان على الطائف (عثمان بن أبى العـاص) : استعمله رسول الله على الطائف وأقره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . روى له عن رسول الله تسعة أحاديث . روى مسـلم ثلاثة منها ، واستعمله عمر على عمان والبحرين ثم نزل البصرة . توفى فى خلافة معاوية ، وله عقب كثير أشراف .

وكان على صنعاء (المهاجر بن أبى أمية) وهو أخو أم سـلمة أم المؤمنين . وله فى قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة مر ذكرها .

وكان على حضرموت (زياد بن لبيد الأنصارى) أقام مع رسول الله

بمكة حتى هاجر فكان يقال له مهاجرى أنصارى . شهد العقبة ، و بدراً وأُحداً ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، واستعمله رسول الله على حضرموت .

وعلى خوْلان[1] (يعلى بن أمية) و يقال له يعلى بن منية وهى أمه ، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً ، والطائف وتبوك مع رسول الله روى له عن رسول الله ٢٨ حديثاً . اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة منها وقتل بصفين سنة ٣٧ ه .

وعلى زَبيد ورِمَع[2] (أبو موسى الأشعرى) : قدم على رسول الله بمكة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم ، ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى رسول الله مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر ، فأسهم له منها ولم يسهم منها لأحد غاب عن فتحها غيره . وكان حسن الصوت ، استعمله رسول الله على زبيد ، وعدن ، وساحل اليمن . روى له عن رسول الله ٣٦٠ حديثاً . اتفق البخارى ومسلم منها على ٥٠ وانفرد البخارى بخمسة عشر . توفى بمكة ، وقيل بالكوفة سنة ٥٠ ه وهو ابن ٦٣ سنة .

وعلى الجَنَد (معاذ بن جبل) : كان معاذ فقيهاً فاضلاً صالحاً . أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة مع السبعين من الأنصار ثم شهد بدراً وأُحداً ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، روى له عن رسول الله

---

(١) خولان : مخلاف من مخاليف اليمن .

(٢) زبيد : واد باليمن ورمع موضع باليمن وقيل هو جبل باليمن .

١٥٧ حديثاً . اتفق البخارى ومسلم على حديثين منها ، وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بحديث . توفى فى طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ وهو ابن ٣٣ سنة وهو من الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله أرسله رسول الله إلى اليمن يدعوه إلى الإسلام وشرائعه . وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله .

وعلى البحرين (العلاء بن الحضرمى) : ولاه النبى صلى الله عليه وسلم البحرين وتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر ثم عمر . توفى سنة ١٤ هـ والياً عليها ، وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالهن . وكان له أثر عظيم فى قتال أهل الردة عند البحرين كما تقدم .

وبعث (جرير بن عبد الله) إلى نجران . روى له عن رسول الله ١٠٠ حديث اتفق البخارى ومسلم منها على ثمانية وانفرد البخارى بحديث ومسلم بستة . قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة فى شهر رمضان فبايعه وأسلم . وكان عمر بن الخطاب يقول « جرير يوسف هذه الأمة » لحسنه وكان طويلاً يصل إلى سنام البعير يخضب لحيته بزعفران بالليل ويغسلها إذا أصبح ، واعتزل علياً ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفى سنة ٥٤ هـ .

وبعث (عبد الله بن ثوب) إلى جُرَش [1] وهو عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولانى من كبار التابعين وكان فاضلاً ناسكاً له فضائل كثيرة

---

(١) جرش : من مخاليف اليمن جهة مكة .

أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . بعث الأسود بن قيس بن ذي الحمار الذي تنبأ باليمن إلى أبي مسلم فلما جاءه قال أتشهد أني رسول : قال ما أسمع . قال أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال نعم . فرد ذلك عليه وفي كل مرة يقول مثل قوله الأول فأمر به فألقى في نار عظيمة فلم تضره ، فقيل له أنفيه عنك و إلا أفسد عليك من اتبعك . قال فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ودخل المسجد فقام يصلي إلى سارية و بصر به عمر بن الخطاب فقام إليه . فقال ممن الرجل ؟ قال من أهل اليمن . قال ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار ؟ قال ذاك عبد الله بن ثوب . قال أنشدك الله أنت هو ؟ قال اللهم نعم . فاعتنقه عمر و بكى ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه و بين أبي بكر وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم « أسد الغابة » .

و بعث (عياض بن غنم) إلى دومة الجندل . أسلم عياض قبل الحديبية وشهدها ، وكان صالحاً فاضلاً جواداً . وكان يسمى « زاد الركب » يطعم الناس زاده فإذا نفد الزاد نحر لهم بعيره . توفي بالشام سنة ٢٠هـ وهو ابن ٦٠ سنة .

وكان بالشام (أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة) أسلم شرحبيل قديماً وأخواه لأمه جنادة وجابر . هاجروا إلى الحبشة ثم إلى

المدينة . توفى فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وله ٦٧ سنة . أصيب هو وأبو عبيدة رضى الله عنهما فى يوم واحد .

وكان بالشام أيضاً عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان . وكان يقال ليزيد يزيد الخير . أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠٠ بعير وأربعين أوقية يومئذ . فلما استخلف عمر ولاه فلسطين وناحيتها . مات فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ

وكان على العراق المثنى بن حارثة الشيبانى .

خاتم أبى بكر : كان نقش خاتمه « نعم القادر الله » .

حكم أبي بكر وكلماته

(١) احرص على الموت توهب لك الحياة .

(٢) إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك .

(٣) إذا فاتك خير فأدركه وإن أدركك فاسبقه .

(٤) أربع من كن فيه كان من خيار عباد الله : من فرح بالتائب، واستغفر للمذنب ، ودعا المدبر ، وأعان المحسن .

(٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

(٦) أكيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور ، أصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة .

(٧) إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق .

(٨) إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغباً راهباً .

(٩) إن الله يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك .

(١٠) إن العبد إذا داخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة .

(١١) إن عليك من الله عيوناً تراك .

(١٢) إن كثير الـكلام ينسى بعضه بعضاً .

(١٣) إن كل من لم يهده الله ضال . وكل من لم يعافه الله مبتلى. وكل من لم يعنه الله مخذول . فمن هدى الله كان مهتدياً . ومن أضله الله كان ضالا .

(١٤) ثلاثة من كن فيه كن عليه : البغى والنـكث والمـكر[1] .

(١٥) حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً .

(١٦) خير الخصلتين لك أبغضهما إليك .

(١٧) ذل قوم أسندوا رأيهم إلى امرأة .

(١٨) رحم الله امرأ أعان أخاه بنفسه .

(١٩) صنائع المعروف تقى مصارع السوء .

(٢٠) لا خير فى خير بعده النار ، ولا شر فى شر بعده الجنة .

(٢١) لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له .

(٢٢) لا يكونن قولك لغواً فى عفو ولا عقوبة .

(٢٣) ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل .

(٢٤) ليست مع العزاء مصيبة .

---

(١) نكث الرجل العهد نكثاً : نقضه .

(٢٥) الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله .

وكان يأخذ بطرف لسانه و يقول :

(٢٦) « هذا الذى أوردنى الموارد » .

(٢٧) قال رجل لأبى بكر رضى الله عنه : والله لأسبنك سباً يدخل القبر معك فقال : « معك يدخل لا معى » .

هذه بعض كلمات أبى بكر الصديق التى عثرنا عليها . ومع ذلك فانه كان قليل الكلام طويل الصمت ، كثير العبادة . كذلك لم يرو عنه من الأحاديث إلا ٤٢ حديثاً مع تقدم صحبته وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندى أن ذلك لإيثاره الصمت وشدة الاحتياط ، فانه كان يمسك لسانه و يقول : « هذا الذى أوردنى الموارد » فهل يعتبر بذلك الذين يؤثرون الكلام على الصمت والقول على العمل ؟ ؟

خاتمة فى حياة خالد بن الوليد

(سيف الله)

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو سليمان وقيل أبو الوليد . أمه لبابة الصغرى وهى بنت الحارث بن حزن الهلالية وهى أخت ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خالة أولاد العباس بن عبد المطلب الذين من لبابة .

هو البطل المشهور والفارس المأثور . صاحب الفتوحات العظيمة والغزوات الكثيرة ، وأشهر الفاتحين فى الإسلام .

كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية ، وكان إليه القبة وأعنة الخيل فى الجاهلية . أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فانه كان المقدم على خيل قريش فى الحرب أى أنه كان قائد فرسانهم .

حارب المسلمين فى غزوة أُحد قبل إسلامه . ولما خالف الرماة أمر رسول الله وبرحوا مكانهم طمعاً فى الغنيمة ، ورأى خالد خلاء الجبل الذى كان فيه الرماة وقلة أهله أتى من خلف المسلمين وكر عليهم بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل ، فوقع الاختلاط فيهم إلا أن كفار قريش

لم يجنوا ثمار انتصارهم فلم يحاولوا الهجوم على المدينـة بل قفلوا راجعين إلى مكة .

وكان خالد من الذين يناوشون المسلمين هو وعمرو بن العاص فى غزوة الخندق . وكان قائداً لفرسان قريش فى الحديبية .

إسلامه

كان سبب إسلام خالد أن عمرو بن العاص لما عاد من الحبشة بعد مقابلة النجاشى لقى خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة . قال عمرو بن العاص : « فقلت له أين يا أبا سليمان ؟ قال والله لقد استقام الميسم (أى تبين الطريق وظهر الأمر) وان الرجل لنبى . اذهب والله فأسلم فحتى متى ؟ قلت . والله ما جئت إلا لأسلم . فقدمنا المدينة على رسول الله . فتقدم خالد بن الوليد » .

قدم خالد هو وعمرو بن العاص وطلحة بن أبى طلحة العبدرى على رسول الله فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » وذلك لرفعة شأنهما فى قريش .

قال خالد بن الوليد « لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير ، قذف فى قلبى الإسلام وحضر لى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى فى نفسى أنى فى غير شىء وأن محمداً يظهر . فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد

دخوله . وكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه . فطلبني فلم يجدني فكتب إليَّ كتاباً فإذا فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام يجهله أحد ؟ قد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك . فقال أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به . فقال : ما مثله يجهل الإسلام . ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين ، كان خيراً له ولقدّمناه على غيره . فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة) .

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة . فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم ؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا ؟ فقال لو لم يكن يبق غيري ما اتبعته أبداً . فقلت هـذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان . قلت فاكتم ذكر ما قلت لك . قال لا أذكره . ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي . قلت هـذا لي صديق فأردت أن أذكر له . ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعة : مسافع والجلاس والحارث وكلاب ، فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت أن

أذكر له . ثم قلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة وواعدنى إن سبقنى أقام بمحل كذا و إن سبقته إليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فعدونا حتى انتهينا إلى الهدة (اسم محل) فوجدنا عمرو بن العاص بها . فقال مرحباً بالقوم فقلنا و بك ، قال أين مسيركم ؟ قلنا الدخول فى الإسلام فقال : وذلك الذى أقدمنى » .

فوصلوا المدينة وقال خالد « فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى . فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُرّ بقدومكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشى فاطلعت عليه . فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى وقفت عليه . فسلمت عليه بالنبوة فرد علىّ السلام بوجه طلق فقلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير . قلت يا رسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك . فقال صلى الله عليه وسلم « الإسلام يجُب ما كان قبله » وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فأسلما وقد شهد رسول الله لخالد بالعقل كما ترى .

إن خالداً كما قلنا كان من رجال قريش المعدودين فكان أشجعهم قلباً ، عالماً بفنون الحرب ، فارساً مغواراً لا يرهب الموت ، ولاتهوله كثرة الجيوش لكنه مع ذلك أخفق فى محاربة رسول الله ولم تنفعه شجاعته ولم تفده فروسيته لذلك كان يرى أنه فى غير شىء إزاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم كما اعترف بنفسه . فماذا يفعل خالد وغير خالد أمام النبوة ورسول الله يمده الله سبحانه وتعالى بالقوى الظاهرة والباطنة وتقع على يديه المعجزات الباهرة التى دونها بطولة الأبطال وشجاعة الشجعان وعلوم الخلق كافة ويبشره الله بالنصر والفتح المبين ! ؟ وماذا يفعل وهو يرى انتشار الإسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجاً . وقد ألفى نفسه وحيداً كعمرو بن العاص لا يقدر على عمل شىء . هذا وقد كان رسول الله يعرف الرجال ويقدرهم ولذلك كان يرجو أن يهدى الله خالداً إلى الإسلام ويجعل نكايته مع المسلمين على المشركين ، فنصحه أخوه الوليد الذى سبقه إلى الإسلام أن يسلم فأثر فيه النصح بعد أن فكر فى مواقفه الماضية ، وفكر فى كرامته فبادر إلى الدخول فى الإسلام تكفيراً عن سيئاته وإراحة لضميره وصوناً لكرامته ، وقد صدقت فيه فراسة رسول الله كما صدقت فراسته فى عمر بن الخطاب ، فان خالداً بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعاً مجيداً قل أن يحدث مثله فى تاريخ العالم . وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التى حاربها من فرس وروم واعترف له علماء التاريخ بالكفاءة الحربية النادرة ، وصدق فيه قول رسول الله « إنه سيف من سيوف الله » .

وقد كتب الأستاذ أوجست مولر فى كتابه « الإسلام » يصفه فقال : « لقد كان خالد من أولئك الذين كانت عبقريتهم الحربية هى كل حياتهم الفكرية مثل نابليون فانه لم يعن بشىء غير الحرب ولم يرد أن يتعلم شيئاً غير ذلك » .

وهذا ما قاله خالد عن نفسه « شغلنى الجهاد عن تعلم كثير من القرآن » .

ومن ذا الذى يدرى ماذا كان يصنعه خالد لو أنه تلقى الفنون الحربية واستعمال الأسلحة المختلفة وأساليب القيادة وخطط الهجوم والدفاع أو لو أنه عاش فى زمن انتشرت فيه الطرق المنظمة وامتدت السكك الحديدية لنقل الجيوش وتموينها ، فى زمن اختراع التلغراف والتليفون واللاسلكى والأسلاك الشائكة ، والغازات الخانقة ، والمدافع الكبيرة والأساطيل العجيبة ، والمفرقعات المخيفة ، والطيارات التى تلقى القنابل؟!

ألا ترى أنه بمواهبه الحربية الفطرية وشجاعة قلبه وعقيدته الإسلامية قاد جيوش المسلمين على قلة عددهم وعددهم التى لم تتجاوز السيف والقوس والفرس فهزم امبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما ووفرة الذخائر والمال — ألا وهما الفرس والرومان فكانت جيوشهما تقتل وتفر أمامه من الميدان مهزومة ، وكبار القادة يصرعون أو يسلمون ، والمدن الحصينة تفتح أبوابها وتسلم وتخضع أمام قوة العقيدة وصدق الإيمان والإخلاص وعدم الاكتراث بمواجهة الجيوش الجرارة طمعاً فى الشهادة ! فهل تقاس هذه الشجاعة الخارقة وتلك المواهب النادرة التى اكتسحت الأمم بأى قائد من قواد الدنيا ؟ اللهم لا .

كان خالد بن الوليد موضع إعجاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وحسن تقديره ، فكان إذ هزم الفرس استدعاه لقتال الروم فيسير إلى الشام هو وجيشه الذى كان أطوع له من بنانه ، من غير أن يذوق للراحة

طعماً فلا يكاد يقود الجيش فى الميدان الآخر حتى يفتح البلاد والحصون المنيعة و يوقع الرعب فى قلوب الأعداء فيستولى المسلمون على بلادهم و يفر امبراطور الروم من وجهه و يودع الشام الوداع الأخير كما فر وقتل قواد الفرس وعظماؤهم .

أليس من المدهش أن خالداً لم يهزم فى موقعة من المواقع بل كان رائده النصر على الدوام ! ؟ وكان العدو يخاف و يقع الرعب فى قلبه بمجرد ذكر اسمه أو اقتراب جيشه . لذلك كانوا يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به . وقد سأله عظيم من الروم هل أنزل الله عليه سيفاً من السماء يحارب به الأعداء ؟

***

كان إسلام خالد فى شهر صفر بعد الحديبية ، وكانت الحديبية فى ذى القعدة من السنة السادسة الهجرية (فبراير سنة ٦٢٨ م) .

شهد خالد غزوة مؤتة ، وقد كان الأمير فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة واستشهد فيها زيد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبى طالب فاستشهد أيضاً . ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . ثم اتفق المسلمون على دفع الراية إلى خالد بن الوليد فأخذها وقاتل قتالا شديداً . وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه . ثم ارتد بانتظام وعاد بجيش المسلمين سالماً إلى المدينة ، وفى هذه الغزوة سماه النبى صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله ، إذ لولا تدبيره و إحكامه خطة التقهقر لقضى على الجيش لقلة عدده أمام ذلك الجيش العظيم .

وشهد خالد خيبر ، وفتح مكة ، وحنيناً ، وفى غزوة حنين قتل امرأة فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء ، والأولاد ، والأجراء .

ثبت فى صحيح البخارى عن خالد أنه قال : « اندق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية » .

وولاه رسول الله أعنة الخيل ، فكان فى مقدمتها ، وشهد فتح مكة فأبلى فيها ، و بعثه رسول الله إلى العزى (صنم) فهدمها وقال :

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

و بعد أن هدم خالد العزى رجع إلى رسول الله . فقال له : هل هدمتها ؟ قال نعم . فقال له : هل رأيت شيئاً ؟ فقال لا . قال فانك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها . فرجع وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس فجعل السادن (خادم الصنم) يصيح بها . قال خالد وأخذنى اقشعرار فى ظهرى فجعل السادن يصيح و يقول :

أعز شدى شدة لا تكذبى أعز ألقى للقناع وشمرى
أعز إذا لم تقتلى اليوم خالداً فبوئى بذنب عاجل وتنصرى

فأقبل خالد إليها بالسيف فضربها فشقها نصفين ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : « نعم تلك العزى قد أيست أن تعبد ببلادكم أبداً » ثم قال خالد: «أى رسول الله الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا من التهلكة . ولقد كنت أرى أبى يأتى إلى العزى ومعه مائة من الإبل والغنم فيذبحها للعزى و يقيم عندها ثم ينصرف إلينا مسروراً

فنظرت إلى مامات عليه أبى وذلك الربى الذى كان يعاش فى فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع » فقال رسول الله : « إن هذا الأمر إلى الله فمن ييسره للهدى ييسر ، ومن ييسره للضلالة كان فيها » .

ولا يصح لخالد مشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة وأرسله رسول الله إلى أكيدر صاحب دومة فى رجب سنة تسع فأسره وأحضره عند رسول الله فصالحه على الجزية ، ورده إلى بلده .

وأرسله رسول الله سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم .

وأمره أبو بكر الصديق رضى الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة ، وكان له فى قتالهم الأثر العظيم كما مر ذكره فى كتابنا هذا ، وله الآثار المشهورة فى قتال الروم بالشام ، والفرس بالعراق ، وهو أول من أخذ الجزية من الفرس فى صلح الحيرة ، وافتتح دمشق وكان فى قلنسوته شعر من شعر رسول الله يستنصر به ويتبرك فلا يزال منصوراً .

ولما حضرت خالداً الوفاة قال :

« لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما فى بدنى موضع شبر إلا وبه ضربة ، أو طعنة ، أو رمية ، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ، ومالى من عملى أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترس بها » .

وكان يشبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلقه وصفته .

وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ (٦٤١ ـ ٦٤٢ م) وعمره بضع وأربعون سنة ، وكانت وفاته بحمص ، وقبره مشهور يزار إلى الآن فى ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل به العمران وصار حوله لهذا العهد حى يسمى (حى سيدى خالد) كما يسمى المسجد أيضاً مسجد سيدى خالد .

قال رفيق بك العظم فى كتابه : « أشهر مشاهير الاسلام » وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار ما يأخذ بمجامع القلوب التى يعرف أصحابها أقدار الرجال ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الأبطال .

وقد كان لخالد أولاد كثيرون انقرضوا جميعاً فى الطاعون فلم يبق منهم أحد ، وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة .

وكان عمر يقول لما مات خالد : قد ثلم فى الاسلام ثلمة لا ترتق ، ولقد ندمت على ما كان منى إليه .

ورثته أمه فقالت :

أنت خير من ألف إلف من النـــاس إذا ما كبت وجوه الرجال
أشجاع فأنت أشجع من ليـــث عرين جهم إلى الأشبال
أجواد فأنت أجود من سيـــل دياس يسيل بين الجبال

ولخالد كرامات منها أنه ابتلع السم فلم يؤثر فيه كما مر ذكره ، ومنها ما رواه ابن أبى الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمر . فقال : اللهم اجعله عسلا فصار عسلا رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بذكرى حياته المملوءة عبراً ، وشهامة ، و بلاء

حمناً فى سبيل الله ». وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية حروب خالد فى خلافة عمر بن الخطاب فى كتابنا « عمر بن الخطاب » .

وقد أردنا بهذه الكلمة الوجيزة تذكير المسلمين بحياة هذا البطل الطائر الصيت الذى سجل فى تاريخ القيادة والبطولة صفحات ذهبية خالدة ، ولا شك « أن حياة خالد خالدة » فى الأسفار والقلوب ، وأردنا كذلك أن نصور هذه الشخصية البارزة بصورة جلية واضحة حتى تكون ماثلة أمامنا باعثة للهمم ، وعبرة للمعتبرين ، وقدوة يقتدى بها الأبناء فى حسن البلاء ، والإقدام ، والصبر ، والاخلاص ، ورفعة الشأن ، والتمسك بالمبدأ حتى النفس الأخير ، فان بمثل هذا القائد العظيم فتح الله على المسلمين فنشروا التوحيد ، والعقيدة الصحيحة ، وقضوا على الوثنية والشرك ، ووضعوا دعائم العدل والفضل .

جدول بتواريخ الحوادث المشهورة

فى خلافة أبى بكر الصديق

يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ - ٩ يونيو سنة ٦٣٢ م

« حديث السقيفة وبيعة أبى بكر الصديق »

يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١ هـ - ١١ يونيه سنة ٦٣٢ م

« إرسال جيش أسامة بن زيد »

سنة ١١ هـ - سبتمبر سنة ٦٣٢ م

« عودة أسامة »

شعبان سنة ١١ هـ - أكتوبر سنة ٦٣٢ م

« إرسال البعوث إلى المرتدين »

آخر سنة ١١ هـ - بدء سنة ٦٣٣ م

« موقعة اليمامة »

سنة ١١ هـ - ٦٣٢ - سنة ٦٣٣ م

« ردة أهل البحرين »

سنة ١٢ هـ - سنة ٦٣٣ م

« مسير خالد بن الوليد وصلح الحيرة »

صفر سنة ١٢ هـ - سنة ٦٣٣ م

« موقعة الثنى »

صفر سنة ١٢ هـ ـ ابريل سنة ٦٣٣ م

« موقعة الولجة »

ربيع الأول سنة ١٢ ـ مايو سنة ٦٣٣م

« حصار الحيرة وتسليمها »

رجب سنة ١٢ هـ ـ سبتمبر سنة ٦٣٣ م

« موقعة دومة الجندل »

شعبان سنة ١٢ هـ ـ اكتوبر سنة ٦٣٣ م

« البعوث إلى العراق »

ذو القعدة سنة ١٢هـ ـ يناير سنة ٦٣٤م

« موقعة القراض ـ انهزام الفرس والروم والبدو »

ذو الحجة سنة ١٢ هـ ـ فبراير سنة ٦٣٤ م

« حج خالد سراً »

سنة ١٢ هـ ـ سنة ٦٣٣ـ٦٣٤م

« غزو الشام »

النصف الأول من سنة ١٣ هـ ـ مارس ـ أغسطس سنة ٦٣٤ م

« المثنى بالعراق بعد رحيل خالد بن الوليد »

صيف سنة ١٣ هـ ـ سنة ٦٣٤ م

« موقعة بابل »

٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ـ ٣١ يوليه سنة ٦٣٤ م

« بدء موقعة اليرموك »

جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ـ ٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤ م

« وفاة أبى بكر الصديق »

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس بأسماء الرجال والقبائل

(ا)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ش)

(ق)

(ك)

فهرس بأسماء النساء

(ا)

(ج)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ع)

فهرس بأسماء البلدان والأماكن

(ا)

(ب)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

أهم مراجع الكتاب

صحيح البخارى

صحيح مسلم

سنن الترمذى

تاريخ الطبرى

تاريخ ابن الأثير

تاريخ ابن خلدون

تاريخ أبى الفدا

تاريخ الأمم الاسلامية لمحمد الخضرى بك

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

تهذيب الاسماء واللغات لأبى زكريا النووى

معجم البلدان لياقوت الحموى

طبقات ابن سعد

أخبار الدول وآثار الأول للقرمانى

أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم

معالم أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الرازى

محمد رسول الله للمؤلف

دائرة المعارف للبستانى

لسان العرب

Encyclopaedia Britannica.

Encyclopaedia of Islam.

Cambridge Medieval History. Volume 2.

Gibbon (Edward) : The History of the Decline and Fall of the Roman Empire. Volume 5.

Muir (William) The Caliphate.